عهد الاستقلال

محالفة الزعفران - لوكارنو
معاهدة النحاس - إيدن
فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦

بقلم

عبد الحليم الباس نصير

١ـ كيف نحمي حقوق الاستقلال وننهض بالوطن : واجب الأفراد والهيئات .

٢ـ استثمار ثروة مصر الاقتصادية : استغلال مناجم الحديد و"الفحم الأبيض" والبترول والذهب الخ

٣ـ أدق الوثائق عن تاريخ الحماية والاحتلال البريطاني .

٤ـ الوفد المصرى حامل الرسالة الوطنية يحقق للدولة المصرية الاستقلال والسيادة

٥ـ المزايا التى يجنيها المصريون عاجلا وآجلا من معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا .

الى محرر مصر

أهدى عهد الاستقلال

ومن غير « مصطفى النحاس » حرر مصر

منذ غزاها الفرس وأهدروا استقلالها ، واستعبدوا دولتها ، وأذلوا شعبها

أن اربعة وعشرين قرنا سويًا لتخر خاشعة بين يدى القائد الموفق وعلم الجهاد الخفاق ، ورسول السلام والوفاق ، وبطل سيشل وعميد الوفد ، ورمز الوحدة الوطنية ، وصاحب الرياسات الجليلة ومنقذ الدستور وبطل الاستقلال « المصطفى » رضى الله تعالى عنه ، وأعز به الوطن وجزاه عن الامة المصرية ، الجديرة بدولته ، جزاء الصديقين والرسل الأكرمين ؟

بنى نصير

عبد الحليم الياس نصير

تذكار الى الأمة المصرية

كتاب (عهد الاستقلال)

توخيا لتعميم الفائدة من الاطلاع على هــذا البحث وبرأ بعهــد الاستقلال والمعاهدة التمس من دولة الرئيس الجليل إذنا كريما بأن أضع جميع نسخ هذا الـكتـاب تحت تصرف الامة فى كافة أنحـاء المملـكة المصرية ليهدى الي كل من يطلبه من ابنائها البررة المثقفين ؟

المؤلف

عبد الحليم الياسى نصير

بنى نصير ــ بنى سويف

فى ١٥ اكتوبر سنة ١٩٣٦

عنوان المؤلف بالعاصمة : ــ ٣٥١ شارع الملكة نازلى

محالفة الزعفران - لوكارنو

معاهدة النحاس - ايدن

معاهدة التحالف والصداقة بين مصر وبريطانيا ، التي وقعها مندوبو الدولتين في يوم الاربعاء ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ بقاعة لوكارنو بوزارة الخارجية البريطانية .

« مقدمة »

ان حضرة صاحب الجلاله ملك بريطانيا العظمى وارلندا والاملاك البريطانيه وراء البحار وامبراطور الهند .

وحضرة صاحب الجلاله ملك مصر

بما انهما يرغبان في توطيد الصداقة وعلاقات حسن التفاهم بينهما والتعاون على القيام بالتزاماتهما الدولية لحفظ سلام العالم .

وبما ان هذه الاغراض تتحقق على الوجه الاكمل بعقد معاهدة صداقة وتحالف تنص لمصلحتهما المشتركة على التعاون الفعال لحفظ السلام وضمان الدفاع عن اراضيهما وتنظيم علاقاتهما المتبادلة في المستقبل

قد اتفقا على عقد معاهدة لهذه الغاية وانابا عنهما المفوضين الآتية اسماؤهم :

حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا والاملاك البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند (الذى سيشار اليه في نصوص هذه المعاهدة بعبارة « صاحب الجلالة الملك والامبراطور »)

قد اناب عن بريطانيا العظمى وشمال ايرلندا من يلى : —

مندوبو الامبرطورية البريطانية

مستر انطونى ايدن	—	وزير الخارجية
مستر رامساى مكدونالد	—	رئيس المجلس
سير جون سيمون	--	وزير الداخلية
فيكونت هاليفاكس	—	لورد حامل ختم الملك
سير مايلز لامبسون	—	المندوب السامى بمصر

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر .

قد اناب عن مصر من يلى : —

مندوبو المملكة المصرية

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس الوفد المصرى ورئيس الوفد الرسمى .

حضرة صاحب السعادة الدكتور احمد ماهر رئيس مجلس النواب

حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء سابقا.

حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا رئيس مجلس الوزراء سابقا .

حضرة صاحب الدولة عبدالفتاح يحى باشا رئيس مجلس الوزراء سابقا

حضرة صاحب المعالى واصف بطرس غالى باشا وزير الخارجية

حضرة صاحب المعالى عثمان محرم باشا وزير الاشغال العمومية

حضرة صاحب المعالى مكرم عبيد باشا وزير المالية
حضرة صاحب المعالى محمود فهمى النقراشى باشا وزير المواصلات
حضرة صاحب المعالى احمد حمدى سيف النصر باشا وزير الزراعة
حضرة صاحب السعادة على الشمسى باشا الوزير السابق
حضرة صاحب السعادة محمد حامى عيسى باشا الوزير السابق
حضرة صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا الوزير السابق

الذين بعد تبادل وثائق تفويضهم التى تخولهم سلطة كاملة والتى وجدت صالحة ومستوفية الشكل قد اتفقوا على ما يأتى :

نص مواد المعاهدة

المادة الأولى

انتهى احتلال مصر عسكريا بواسطة صاحب الجلالة الملك والامبراطور

المادة الثانية

يقوم من الآن فصاعدا بتمثيل صاحب الجلالة الملك والامبراطور لدى بلاط جلالة ملك مصر وبتمثيل صاحب الجلالة ملك مصر لدى بلاط سان جيمس سفراء معتمدون بالطرق المرعية .

المادة الثالثة

تنوى مصر أن تطلب الانضمام الى عضوية عصبة الامم . وبما ان حكومة صاحب الجلالة فى المملكه المتحدة تعترف بان مصر دولة مستقلة ذات سيادة فانها ستؤيد أى طلب تقدمه الحكومة المصرية لدخول عصبة الامم بالشروط المنصوص عليها فى المادة الاولى من عهد العصبة

المادة الرابعة

تعقد محالفة بين الطرفين المتعاقدين الغرض منها توطيد الصداقة والتفاهم الودي وحسن العلاقات بينهما

المادة الخامسة

يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين بان لا يتخذ فى علاقاته مع البلاد الاجنبية موقفا يتعارض مع المحالفة وأن لا يبرم معاهدات سياسية تتعارض مع احكام المعاهدة الحالية

المادة السادسة

اذا أفضى خلاف بين أحد الطرفين المتعاقدين ودولة أخرى الى حالة تنطوى على خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة يتبادل الطرفان المتعاقدان الرأى لحل ذلك الخلاف بالوسائل السلمية طبقا لاحكام عهد عصبة الامم أو لأى تعهدات دولية أخرى تكون منطبقة على تلك الحاله

المادة السابعة

اذا اشتبك أحد الطرفين فى حرب بالرغم من أحكام المادة السادسة المتقدم ذكرها فان الطرف الآخر يقوم فى الحال بانجاده بصفته حليفا وذلك مع مراعاة أحكام المادة العاشرة الآتى ذكرها

وتنحصر معاونة صاحب الجلالة ملك مصر فى حالة الحرب أو خطر الحرب الداهم او قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها فى أن يقدم الى صاحب الجلالة الملك والامبراطور داخل حدود الاراضي المصرية مع مراعاة النظام المصرى للادارة والتشريع جميع التسهيلات والمساعدة التى فى وسعه بما فى ذلك استخدام موانئه ومطاراته وطرق المواصلات

وبناء على هذا فالحكومة المصريه هى التى لها أن تتخذ جميع الاجراءات الادارية والتشريعية بما فى ذلك اعلان الاحكام العرفية واقامة رقابة وافية على الانباء لجعل هذه التسهيلات والمساعدة فعالة

المادة الثامنة

بما ان قنال السويس الذى هو جزء لا يتجزأ من مصر هو فى نفس الوقت طريق عالمى للمواصلات كما هو أيضا طريق اساسى للمواصلات بين الاجزاء المختلفة للامبراطورية البريطانية . فالى ان يحين الوقت الذى يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على ان الجيش المصرى اصبح فى حالة يستطيع معها ان يكفل بمفرده حرية الملاحة على القنال وسلامتها التامة يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة الملك والامبراطور بان يضع فى الاراضى المصرية بجوار القنال بالمنطقة المحدودة فى ملحق هذه المادة قوات تتعاون مع القوات المصرية لضمان الدفاع عن القنال.ويشمل ملحق هذه المادة تفاصيل الترتيبات الخاصة بتنفيذها ولا يكون لوجود تلك القوات صفة الاحتلال بأى حال من الاحوال كما انه لا يخل بأى وجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية

ومن المتفق عليه انه اذا اختلف الطرفان المتعاقدان عند نهاية مدة العشرين سنة المحدودة فى المادة السادسة عشرة على مسألة ما اذا كان وجود القوات البريطانية لم يعد ضروريا لان الجيش المصرى اصبح فى حالة يستطيع معها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة على القنال وسلامتها التامة فان هذا الخلاف يجوز عرضه على مجلس عصبة الامم للفصل فيه طبقا لاحكام عهد العصبة النافذ وقت توقيع هذه المعاهدة أو على أى شخص أو هيئة للفصل فيه طبقا للاجراءات التى يتفق عليها الطرفان المتعاقدان

المادة التاسعه

يحدد باتفاق خاص يبرم بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحده ما تتمتع به من إعفاء وميزات فى المسائل القضائيه والمالية قوات صاحب الجلالة الملك والامبراطور التى تكون موجودة طبقا لاحكام هذه المعاهدة

المادة العاشرة

ليس في أحكام هذه المادة مايمس أو ما يقصد به أن يمس بأى حال من الاحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التى تترتب لاحد الطرفين المتعاقدين أو عليه بمقتضى عهد عصبة الامم أو ميثاق منع الحرب الموقع عليه بباريس فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٨

المادة الحادية عشرة

١ — مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل لتعديل اتفاقيتى ١٩ يناير و ١٠ يوليه سنة ١٨٩٩ قد اتفق الطرفان المتعاقدان على ان اداره السودان تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين

ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين

والطرفان المتعاقدان متفقان على أن الغاية الاولى لادارتهما في السودان يجب أن تكون رفاهية السودانيين

وليس فى نصوص هذه المادة أى مساس بمسألة السيادة على السودان

٢ — وبناء على ذلك تبقى سلطة تعيين الموظفين فى السودان وترقيتهم مخولة للحاكم العام الذى يختار المرشحين الصالحين من بين البريطانيين والمصريين عند التعيين فى الوظائف الجديدة التى لا يتوفر لها سودانيون أكفاء

٣ — يكون جنود بريطانيون وجنود مصريون تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان فضلا عن الجنود السودانيين

٤ — تكون الهجرة المصرية الى السودان خالية من كل قيد الا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام

٥ — لا يكون هناك تمييز فى السودان بين الرعايا البريطانيين وبين الوطنيين المصريين فى شئون التجارة والمهاجرة أوفى الملكية

٦ — اتفق الطرفان المتعاقدان على الاحكام الواردة فى ملحق المادة فيما يتعلق بالطريقة التى تصير بها المعاهدات الدولية سارية فى السودان

المادة الثانية عشرة

يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بان أرواح الاجانب وأموالهم فى مصر هى من خصائص الحكومة المصرية دون سواها وهى التى تتولى تنفيذ واجباتها فى هذا الصدد

المادة الثالثة عشرة

يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بان نظام الامتيازات القائم الآن لم يعد يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضره

ويرغب صاحب الجلالة ملك مصر فى الغاء هذا النظام دون ابطاء

وقد اتفق الطرفان المتعاقدان على الترتيبات الوارده بهذا الخصوص فى ملحق هذه الماده

المادة الرابعة عشرة

تلغى المعاهده الحالية جميع الاتفاقات او الوثائق القائمة التى يكون استمرار بقائها منافيا لاحكام هذه المعاهدة ويجب أن يعد باتفاق الطرفين ، اذا طلب أحدهما ذلك ، بيان بالاتفاق والوثائق الملغاة وذلك فى مدى ستة أشهر من نفاذ هذه المعاهدة .

المادة الخامسة عشرة

اتفق الطرفان المتعاقدان على ان أى خلاف ينشأ بينهما بصدد تطبيق أحكام المعاهدة الحالية أو تفسيرها ولا يتسنى لهما تسويته بالمفاوضات بينهما مباشرة يعالج بمقتضى أحكام عهد عصبة الامم .

المادة السادسة عشرة

يدخل الطرفان المتعاقدان فى مفاوضات بناء على طلب اى منهما فى اى وقت بعد انقضاء مدة عشرين سنة على تنفيذ هذه المعاهدة وذلك بقصد اعادة النظر بالاتفاق بينهما في نصوص المعاهدة بما يلائم الظروف السائدة حينذاك

فاذا لم يستطع الطرفان المتعاقدان الاتفاق على نصوص المعاهدة التى أعيد نظرها يحال الخلاف الى مجلس عصبة الامم للفصل فيه طبقا لاحكام عهد العصبة النافذ وقت توقيع هذه المعاهدة أو الى أى شخص أو هيئة للفصل فيه طبقا للاجراءات التى يتفق عليها الطرفان المتعاقدان .

ومن المتفق عليه ان أى تغيير فى المعاهدة عند إعادة نظرها يكفل استمرار التحالف بين الطرفين المتعاقدين طبقا للمبادىء التى تنطوى عليها المواد ٤ و ٥ و ٦ و ٧

ومع ذلك ففى أى وقت بعد انقضاء مدة عشرة سنوات على تنفيذ المعاهدة يمكن الدخول فى مفاوضات برضاء الطرفين المتعاقدين بقصد إعادة النظر فيها كما سبق بيانه

المادة السابعة عشرة

يصدق على المعاهدة الحالية ويتبادل التصديق عليها فى القاهرة فى أقرب وقت ممكن ويبدأ تنفيذها من تاريخ تبادل التصديق عليها وعندئذ تسجل لدى السكرتير العام لعصبة الامم

واقرارا بما تقدم وقع المفوضون السابق ذكرهم على هذه المعاهدة ووضعوا أختامهم عليها

تحية واجبة

الى الملك المحبوب

سيدى ومولاى الملك فاروق الموفق ملك مصر وصاحب السودان ارفع من هذا المنبر الى المقام الأسنى خالص الولاء وأحمد الله العزيز على ماأعز به المملكة المصرية بذات جلالته وأقر أعين الأمة بعهده الذهبي ، عهد الوفاق الشامل والاستقلال الكامل

الى مجلس الوصاية الموقر

واتقدم بين يدى هيئة مجلس الوصاية الموقر بفروض الاخلاص والاجلال .

الى الحكومة والوفد الرسمى

وأبعث الى حكومة صاحب الجلالة المصرية ، أيدها الله ، والى هيئة الوفد الرسمى المبجل ابعث بآيات الحمد وخالص التهنئة على هذا النصر الزاهر والتوفيق الباهر ؟

عبد الحليم الياس نصير

وصف مصر

الغنية الناهضة المستقلة

بحث اجتماعى تاريخى اقتصادى

نهض المصريون وهم ورثة أعرق مدنية عرفها التاريخ يبتغون استقلال بلادهم بالوسائل السلمية وبقوة الحق وبقوة العقيدة وبقوة المبادىء العالية ، و بأخلاص الزعماء وتفانى الصغير والكبير فى حب البلاد ، تحقق للأمة ما تريد ، وشادت بيد أبر الابناء أساس الاستقلال فى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٣٦ ، حيث أبرمت بقاعة لوكارنو فى وزارة خارجية بريطانيا العظمى محالفة الصداقة بين الدولتين العظيمتين — مصر وبريطانيا : والان تبدأ مصر حياة مستقرة حرة تتصرف فيها الى ترتيب بيتها وتنظيم شأنها ، فتدعم استقلالها الحقيقى على أساس قويم يتفق مع المركز الجديد اللذى تشغله فى الحياة الدولية .

وهاهى الحكومة المصرية بفضل هذا الاتفاق تمضى لتحقيق علاقات الوداد وتوكيدها مع جميع الدول ، وقد أخذت الأهبة لتتويج حريتنا السياسية بأدماج مصر فى عصبة الأمم كدولة تامة الاستقلال ، وهى الامنية التى طالما تاقت نفس الزعيم الخالد سعد باشا لتحقيقها .

وقبل أن نتناول المعاهدة بالبحث نريد أن نلقى نظرة على خريطة المملكة المصرية ليعلم المصريون مايمكن أن يجنوه من خير لوطنهم ولانفسهم فى ظلال الاستقلال ، وتحت راية الاستقرار الذى ظفرت به المعاهدة لمصر .

ماذا نعرف عن وطننا ؟

انما نحب الوطن، لأنه الشخصية المقدسة التى تربطنا بها الصلة الروحية والرابطة البنوية .

ويزداد تقديرنا للوطن واعتزازنا به بمقدار ما نعلم من كوامن قواته وفيض خيراته .
ولقد اعلن الاستقلال الوطنى ، وانتهت وصاية الأجنبى ، فكيف نستفيد من هذا الاستقلال ؟

ان الاستقلال أقوم سبيل للكشف عن كوامن قوات هذا الوطن واستثمار خيراته الدفينة . وعلينا كرجال عمليين ان نسارع الى دراسة مرافق الثروة المصرية على هدى نشأة الاستقلال ، ولنبدأ بألقاء نظرات تاريخية اقتصادية حيوية فى أرجاء هذا الوطن العظيم .

مصر الغنية الجميلة

« قديما وحديثا »

ما اجمل الشتاء فى صعيد مصر وما اجمل الصيف فى الشواطىء المصرية هذا ما يردده السائحون رواد مصر ، والى جانب نعمة الجو فقد حبت الطبيعة بلادنا بأعظم آيات الغنى والجمال وانعمت على كافة السكان بأغزر مرافق الثروة الكامنة .

ومعلوم أن الحضارة والمدنية والنشاط الاقتصادى للبلاد تتوقف جميعا على احوالها الطبيعية من جهة مرافق ثروتها ، وموقعها الجغرافى ، ومناخها ، وكذا من حيث المستوى العلمى والاجتماعى لسكانها ومبلغ جهود الافراد والهيآت فى تذليل قوى الطبيعة واحسان القيام على توجيهها لصلاح الجماعة وخيرها .

اسباب الاحتلال ودواعى الاستقلال

ويستفاد من مراجعة تاريخ مصر مطابقته لهذه الحقيقة، فلقد زهت حضارتها قديما بفضل هذه العوامل الطبيعية وفضل عناية اصحاب النفوذ بالعلوم ونظام الجندية حتى أضحت أغنى الحضارات القديمة وأعظمها .

وعلى نقيض ذلك عند ما تخاذل الشعب وركن الى الخمول والتواكل وانصرف الى المنازعات الداخلية والتحاسد والتنافر ، عندئذ هوى الى درك التقصير

فى الانتفاع بالمرافق الطبيعية ، وتــداعى استقــلال الدولة وطمع فى مرافقها الغزاة من آسيا وافريقية وأوربا من عـهد الفتح الفارسى لمصر فى عام ٥٢٥ قبل الميلاد أى قراب أربعة وعشرين قرنا . لم تعرف مصر خلالها الحـكومات الوطنية المستقلة الا فترات قصيرة متقطعة .

ولهذا السبب قعدت البلاد عن بلوغ آية الاسـتقلال وادراك درجات الرقى واليسر والقوة التى كانت جديرة بها وأعدتها لها الطبيعة فاضاعتها . ولما أقام الشعب المصرى فى صدر القرن التاسع عشر القائد الموفق « محمد على » واليا على مصر سارع الى استثمار قوى الطبيعة فى مصر وانشأ امبراطورية عظيمة بأيدى المصريين وبثمرات مصر ومرافقها وفتح سوريا والاناضول وجزيرة العرب وضم السـودان الى القطر المصرى ؛ وجعل منابع النيل فى قبضــة المصريين وزود الجيش المصرى بقوة من أشداء السودانيين البواسل .

وقد انتهى الى الجيل الحاضر من ميراث امبراطورية الوالى الخالد محمد على : مصر الحاضرة ويتبعها السودان .

ومن شأننا الآن أن نلقى نظرة على طبيعة مصر الحديثة .

طبيعة مصر الحديثه

المســاحة – الســكان – الموقـع – الثروة – المعادن المناجم – السواحل والشواطىء – الأراضى الزراعية – النيل الصحارى – الجبال – مشروعات المهندسين .

المساحة والسكان والشواطىء

تبلغ مساحة القطر المصرى وحده من غير السودان والاقاليم التابعة لأدارته نحو مليون متر مربـع ، ويبلغ عدد الســكان حوالى ستة عشر مليون نفس يعمرون المناطق الزراعية وهى نحو ثمانية ملايين من الافدنة .

اما باقى المســاحة فهى صحارى وجبال يسكنها قليل من الاعراب الرحل ،

وبفضل العلم والبحوث الهندسية يرجى أن يمتد العمران الى بعض بقاع الصحارى المصرية ذات المناجم والثروة المعدنية والخواص الطبيعية . ويبلغ طول الشواطىء البحرية للقطر المصرى عدا السودان ٢٤٠٠ كيلو متر ، وأهم موانئنا على البحر الابيض الاسكندرية والحمام ومرسى مطروح والسلوم ، وتقع بورسعيد على ملتقى البحر الابيض بالبحر الاحمر وكذا بور فؤاد ، وأهم موانئنا على البحر الأحمر الاسماعيلية . والسويس . والطور . وابو زنيمه . والزيتيه . وجمسه . وهرغادة . وسفاجه . والقصير . وحلايب . وسواكن ثم (بور سودان) .

موقع مصر وثروتها

تقع مصر — وهى ذلك الاقليم الخصب الجميل الغنى الذى يشقه نهر النيل والبحر الاحمر — بين الشرق والغرب ، كما يفصل مصر عن اوربا البحر الابيض المتوسط وهى ملتقى مواصلات كافة القارات ومعرض ثمراتها .

ولقد قسمت الطبيعة مصر الى ثلاثة أشباه جزر ليس فى الدنيا أغنى منها ولا ابدع نجمل وصفها فيما يلى : —

(١) شرق مصر

ففى الشرق بحيث جزيرة سيناء المصرية الذاخرة بمناجم الحديد والمنجنيز والفوسفات والرصاص والنحاس وزيت البترول ، وهذه الجزيرة غنية بشواطئها الساحلية الرائعة . وغنية بجبالها العالية التى يؤمها السائحون الأجانب . وتخترق سيناء سكة حديدية تصل مصر بفلسطين ومايليها ، ويحد سيناء غربا شاطىء البحر الاحمر العامر بكنوز البحر فمن مصائد غنية بالأسماك الى نافورات ساخنة ومشات طبيعية لاترى العين اجمل منها وهى تنتظر من يعمرها . وعلى شاطىء سيناء حمام فرعون الذى يؤمه عارفوه لسلق السمك فى ماء عينه الساخنة الفائرة . « هناك يجتمع الصيد والماء والنار فى (حمام) . ومن يذهب يجد من الطبيعة رزقا »

القسم الاوسط لمصر

القسم الاوسط للقطر المصرى هو القلب ويحد شرقا بشاطىء البحر الاحمر وغربا بشاطىء نهر النيل، وبين الشاطئين ثروة معدنية عظيمة من حقول زيت البترول ومناجم الحديد وخاصة بجوار خزان اسوان، ثم الذهب والفوسفات ونترات الصودا والزنك والرصاص والنحاس والزمرد واحجار البناء والملاط والزخرف مثل الرخام والالباستر والجرانيت والبازلت والجبس الخام ومواد صناعة الاسمنت والالوان والمغره والخزف والصلصال ومواد الطوب الملون وغير ذلك من المعادن النافعة ، هذا الى تربة خصبة على ساحل النيل زاهرة بنعم الزراعة ، كما أن هناك سلسلة عيون كبريتية تمتد من عين الصيرة بالقاهرة الى الفشن بمديرية المنيا ولها مستقبل كمراكز للاستشفاء والسياحة .

أما ساحل البحر الاحمر ففنى بمصائد الاسماك وجزر الزبرجد وخيرات البحار .

أما الثغور النهرية التى تزين شرق نهر النيل فهى عقد اول جواهره دمياط ثم المنصوره فبنها فالقاهرة فقنا فالاقصر فأسوان ثم ميناء وادى حلفا .

ولا شك أن هذه المرافق والمناجم تنتظر فى عصر الاستقلال اقدام الشركات على استثمارها بعين ساهرة وهمة لا تنام .

ويسرنا أن خطاب العرش قد نوه فى حفلة افتتاح البرلمان فى ٢٣ مايو سنة ١٩٣٦ بأن عزيمة وزارة المالية قد صحت على استثمار مرافق الثروة المعدنية وعلى تدريب المصريين وعلى تشجيع الأفراد والشركات على استغلالها .

(٣) غرب مصر

(قديما وحديثا)

يتوج القسم الغربى للقطر المصرى البحر الابيض المتوسط وعلى هامته ميناء الاسكندرية اهم مصادر الحركة والبركة لكافة سكان المملكة المصرية ، ويبدأ هذا القسم شمالا بدلتا النيل ذات الخصب العظيم ويتسع مسطح الارض الزراعية على

الجانب الغربى للنيل اطلاقا ، وقد شمل بخيراته واحة الفيوم ، كما تزدان الصحراء الغربية بعدة واحات عامرة .

وبجانب واحة الفيوم يقع منخفض وادى الريان ، وقد ذكر التاريخ ان مهندسى قدماء المصريين برعوا فى استخدام هذا الوادى كخزان المياه يدفع كارثة الفيضانات العاليه ويمد البلاد بالفيض ابان التحاريق . وقد عالج القدماء نقص الطبيعة بالمنشآت الهندسية من اعداد خزانات وحفر ترع واقامة جسور وقناطر وكبار وسدود .

ولا عجب فأن أسلاف المصريين تغلبوا بقوة الفن والعلم وذللوا قوات الطبيعة لأعمالهم العمرانية و حضارتهم التى لاتزال تثير اعجاب العالم وتأخذ بمجامع القلوب ونود أن ننوه هنا بأن يد المهندس المصرى القديم قد اتحفت العالم بالقرية النموذجية للعمال فى اقليم الفيوم العامر باثار الفن الهندسى . وقد لفت نظرنا الى هذه الحقيقة التاريخية عن عمران قدماء المصريين الاستاذ الفاضل عرفان بك اذ اطلعنا فى كتاب العالم الاثرى فلندرز بترى صفحة ٢٢ على رسم القرية كاهون النموذجية للعمال قرب هرم اللاهون وقد صممت و بنيت قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة وتدرس الان بمعاهد الهندسة . وهى معجزة للمصريين تحفز هذا الجيل فى ظل الاستقلال الى السير على غرار اسلافه لتعمير البلاد بالمؤسسات الهندسية .

بعث خزان وادى الريان

ومن حسنات الحكومة البرلمانية الوفدية أن برنامجها الأصلاحى قد تضمن فى خطبة العرش ايضا مشروعا يقضى بتوصيل النيل بمنخفض وادى الريان واستعماله مصرفا للمساعدة فى انقاذ البلاد من غوائل الفيضانات العالية .

ويلى وادى الريان فى الصحراء الغربية ، منخفض القطارة الواسع الارجاء البالغ نحو ١٨ الف كيلومترا ويصل عمقه الى ١٣٤ مترا تحت سطح البحر وكان موضوع دراسة فنية بوزارة الاشغال ابتغاء ايصال مياه البحر المتوسط اليه والانتفاع بمساقطها فى توليد الكهرباء .

فأمارات العمران الحديث أخذت تدب فى الصحراء وهذا دليل على أن مصر المستقلة سترفع منارة العلم والفن عالية .

عظمة صحارى مصر

ونرجو أن لايستخف مصرى بعد اليوم بلفظ صحراء فان الاستهتار بهذا المجهول من علامات خور العزيمة والاستخفاف بآيات الفن والعلم .

وصحراء مصر الغربية كالشرقية من أغنى الصحارى بالثروة المعدنية ، وفيها خامات الحديد خصوصا عند الواحات البحرية ، كما يوجد حجر الشب والمخصبات مثل الفوسفات والنترات ، كما يوجد النطرون أو الصودا الطبيعية وغير ذلك .

وفى صحراء مصر جمال وسحر وفتنة لمن يرتادها ، ويحضرنا فى هذا كلمة غالية من محاضرة للرحالة المصرى العلامة والمستكشف العظيم احمد حسنين باشا رائد جلالة الملك المحبوب ، القاها منذ اثنتى عشرة سنة عن احدى رحلاته الاستكشافية فى الصحراء الغربية قال حفظه الله ،على ما نذكر ،ولما تعمقت فى جوف الصحراء تداولتنى الصدمات وضل دليلى وتهنا فى البيداء واخذت الطبيعة برمالها السافية وحرارتها الكاوية تصلانا ونفق اقوياء الابل وبقى الهزيل منها ، ونذرت لله نذراً أنى إذا اهتديت الى طريق النجاة هذه المرة فلا اعاود الرحلة الى الصحراء مرة اخرى : قال . ومن بعد ذلك اهتديت الى ضالتى ووفقت ومع ذلك لم أبر بما نذرت إذ عاودت الرحلة الى الصحراء مراراً) الخ . شأن الابطال البواسل

خيرات الصحراء

توحى بتوليد الكهرباء (الفحم الابيض)

من مساقط خزان اسوان

لقد اوحى وجود خامات السماد فى الصحراء قرب خزان اسوان بدراسة

وزارة الاشغال المصرية لمشروع توليد الكهرباء من خزان اسوان وقد ضمنت الوزارة الوفدية الحاضرة خطبة العرش ان الحكومة معنية (بمسألة الانتفاع من مساقط المياه بخزان اسوان فى توليد الكهرباء واستخدامها للأغراض الصناعية وعلى الاخص صناعة السماد ، وذلك لتقليل نفقات الزراعة وتوفير الخير للزراع ورفاهية الفلاحين)

وليس الفحم الابيض وحده الذى يرجى استنباطه فى مصر فى عهد الاستقلال ولكن الحديد ايضا الكامن في مناجمه بالصحراء .

مناجم الحديد الغنيه

أمانة الى الامة المصريه

الان نحن فى حل من ان نفضى الى الامة المصرية بأن مصر غنية بمناجم الحديد ولو أن الكتب التى فى أيدى الطلبة والمتعلمين على السواء لا تزال خالية من ذكر مناجم الحديد فى مصر ، وأول بحث علمى عن الحديد فى القطر المصرى قام به الدكتور هيوم مدير مصلحة الكيمياء في سنة ١٩٠٩ ووضع رسالة بالانجليزيه عنوانها (الحديد الخام فى مصر) ،وشفع الرسالة بخريطة لمواطن الحديدو نتائج تحليل الخامات وأهم المناجم فى أسوان بالقرب من الخزان ثم بالصحراء الشرقية تجاه مديرية قنا وتجاه مديرية بنى سويف ،ثم فى سينا والواحات البحرية ، فكأن مناجم الحديد منتشرة فى أرجاء مصر .

وفى سنة ١٩٢٩ أى بعد عشرين عاما من وضع تقرير الدكتور هيوم عنى سير هنرى باين مستشار مصلحة التجارة والصناعة سابقا باحضار عينات من خام الحديد بأسوان بأرشاد الأستاذ لبيب نسيم وأجرى تحليلها كيمائيا فى انجلترة فأسفر التحليل عن ٦٣ فى المائة الصافى وهى نتيجة باهرة يجرى لها لعاب أعظم دولة .

وفى مايو سنة ١٩٣٠ عرضت على حضرة صاحب العزة العلامة مدير مصلحة

المناجم خلاصة مطالعتي عن الحديد فأمن عليها وأفاض علينا بأنفس بيان .
وفى شتاء سنة ١٩٣١ قامت مصلحة المناجم بمسح منطقة الحديد فى اسوان . واجرت تحليل عدة عينات فى انجلتره وفى معمل خاص انشىء بالمصلحة ، فأسفرت التحاليل عن نتائج اقتصادية مشجعة جدا . والكلمة الآن للمهندسين فى التوفيق بين توليد الكهرباء من خزان اسوان ، وبين انشاء الأفران الكهربائيه العاليه لصهر خامات الحديد مع اقامة مصنع للسماد فى تلك المنطقه بالذات التى ستصبح مستعمرة صناعية تنهض بمستقبل مصر الصناعي الى الامام ، وفى هذا البيان مايغنى عن كل مقال . ولقد اديت واجبى والسلام .

معونة الأمــــة وهباتهــا

لتنظيم الــدفاع الوطنى

عن مرافق الثروة وكيان الدولة المصرية العظيمة

هذه نظرة اجمالية فى وصف مصر واحوالها الطبيعية تتجلى فى ثناياها عظمة الوطن الذى نتشرف بالانتماء اليه والذى يتقاضانا اليوم أن نهض به ونأخذ بنصره ، فماذا نحن فاعلون ؟ كافة المرافق تطلب منا عملا واقداما ، فعلام نختلف وفيم نجادل والوقت من ذهب ؟ هيا الى العمل ، هيا الى مرافق مصر ومناجمها وثروتها المطمورة المهملة .
إنى بهذه الصيحة ادعو الى تأليف الشركات ودراسة الثروة الـكامنه وتنظيم الانتاج ، فهلموا الى شق طريقكم لاستثمار مرافق بلادكم ولتنمية الثروة المصريه وتقوية الدولة الحديثه . وعلينا أن نسهر لحماية هــذه المرافق الحيوية بأنفسنا وبقوة دفاعنا ، وحسبنا توا كلا على أحلام المقادير فأمسينا هدفا لكل طامع .

ومن رعى غنما فى ارض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسـد

وقد أصبح واجب الامة أن تمد يد المعونة الى الحكومة الوطنية وتسارع بهباتهـا

وتبرعاتها لانشاء الدفاع القومى ، وفى مقدمه ذلك ما يلى : —

اولا — الأسطول الجوى الحربى والمدنى .

ثانيا — الأسطول البحرى الحربى .

ثالثا — الاسطول التجارى البحرى والنهرى .

رابعا — الجيش البرى المزود بأحدث المعدات والاسلحة

نداء الى المصريين والمصريات

تنظيم العمل لمجد الوطن

انا لا أوحى من أعلى هذا المنبر بخطة او اقتراح معين للقيام بما يتطلبه منا الوطن الآن من بذل وعون فالرغبة ولله الحمد لا تنقص احدا وقد رأينا انهار الصحف تفيض بأنبل العواطف ورأينا للشعور الوطنى الشريف تجليا باهراً كتجليه بين ابناء اعظم امة ، رأينا وانا فخور بما رأيت ، رأينا مقدمات مال الخيرين تنبسط بها الايدى طواعية ، تدعو الى المساهمة فى تكوين الدفاع الوطنى ومظاهر العزة الوطنية ولا يبقى اذن والصدور جياشة بهذا الشعور الكريم الا ان تنظم تلك الجهود بتعاون حضرات الشيوخ والنواب والاشراف الكريم من الحكومة الوطنية والرعاية العالية والعناية السامية من أعضاء البيت العلوى المحبوب الذين ما دعا داعى الوطن الا سارعوا الى حمل رايته . والتفانى فى خدمته واسعاده

وانا واثق كل الثقة ان حضرات الموظفين الذين شرفوا النهضة الوطنية بعملهم المبرور فى كافة أدوار الجهاد سيكونون أسبق طبقات الامة كما عودوها فى تخصيص وبذل جانب من ايرادهم الثابت كل بما يستطيع لتكوين النواة الاولى من العمل لمجد الوطن

وسيكون للطلبة والشبان دورهم المقترن بعلو الهمة وصادق العزيمة فى تنشيط

هذه الحركة المباركة وجعلها وافية بالغاية مقترنة بالنجاح العام والفوز التام

كما انى اؤمن بان بناتنا وسيداتنا المصريات اللاتى شرفن النهضة المصرية منذ الساعه الاولى وملأن بشجاعتهن وكرمهن جو مصر أملا ورجاء وروحا قوية انهن سيواصلن العمل فى الطليعة لتمكين مصر المستقلة من تبوء مكانها الرفيع تحت الشمس . والان فليقم كل منا بواجبه ولنعمل لمصر ما حيينا والله معنا

كتاب العمل لانهاض الوطن

يا ابناء الوطن الامجاد ، هاكم كتاب العمل لمجد الوطن صحائفه بيضاء فمن منكم يكون البادىء بتقديم معونة للوطن تنفع الناس وتمكث فى الارض .

من منكم الاوائل المجلون العاملون لمجد الوطن فى عصره الجديد ليستحقوا ان ينقش اسمهم فى الصفحة الأولى بمداد من نور الاستقلال وقلم من ذهب الحرية والاستقرار .

هاكم مجال العمل والوطن يتطلب منكم للدفاع عنكم ولمجد أنفسكم ولرفاهية أفرادكم وجموعكم الاساطيل البحرية والجوية والمعدات البرية ، فمن منكم السباق الى اقتناء طيارة للوطن ، ومن منكم السباق بالسفينة الأولى والبارجة الأولى التى تجعل استقلالكم حقيقياً لا وهماً ، وتجعل منكم حلفاء للدولة الصديقة جديرين بشرف الزمالة والصداقة

فلتتسابق المدن ، فلتتسابق القرى ، فليتسابق المفكرون ، فليتسابق المجدون العاملون فى اعداد العدة للوطن ، فى تقديم العون لحكومة صاحب الجلالة الملك ، بما عرف عن الشعب المصرى من الجود والسخاء والاريحية والنخوة والمضاء وليكن منا جميعا اقبال على التجنيد فهو اساس الرجولة فى الامم واساس السيادة فى الدول وما الجيش الحديث الا الامة باسرها من علمائها ومفكريها وأدبائها ومهندسيها واطبائها وفلاحيها وزراعها وتجارها ورجال القانون واعلام الكيمياء والرياضة والهندسة وكل ذى علم أو قريحة أو فضل أو مال .

فلنتقدم جميعا بما وهبنا الله من نعم لخدمة هذا الوطن واسعاده

ومن يك ذا فضل ويبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

واجبنا الآن

الى حضرات الشيوخ والنواب

ياحضرات الشيوخ والنواب : انى اذا خاطبكم اولا أخاطب الأمة بلداً. بلداً . وأسرة . أسرة . انتم عنوان هذا الاستقلال وعماد هذا الاستقرار ولقد فرضت المعاهدة المصرية البريطانية على سكان المملكة كافة واجبات ، بفضل ما أنشأته لنا من حقوق صريحة فى الاعتراف بالاستقلال التام والسيادة المطلقة . ولكن هذا الاستقلال وتلك السيادة لا تقوم لهما قائمة الا بعملنا جميعا ، وقد اصبحنا أحراراً ومسئولين عن تدبير وسائل الدفاع عن هذا الاستقلال الناشىء . فدولة بغير جيش كمال مباح فى عرض الصحراء . وللدولة المصرية شاطئان بحريان عظيمان وليس لها أسطول بحرى كريشة فى مهب الريح . وكرة فى عرض الطريق يعبث بها كل عابر . دولة فى هذا العصر وليس لها أسطول جوى من الطائرات هى دولة تعيش بجسمها فى القرن العشرين بينما تعيش بروحها وتفكيرها فى العصر الحجرى . عصر البداوة والغزو والهمجية .

ياحضرات الشيوخ والنواب . تعلمون من تاريخ الدول التى تقدمتنا والامم التى سبقتنا وتعلمون من تاريخ النهضات التى كانت بالاستقلال انها واصلت عملها لجعل الاستقلال حقيقة قائمة وأداة فعالة لانهاض دولهم وتوجيه خيراتها وقواتها للمزيد من اسعاد أوطانهم

وطنية الاروام

رأيتم من أمر دولة اليونان بعد ان حققت استقلالها وتحررت من الامبراطورية العثمانية ان أبناء اليونان تسابقوا وتنافسوا فى مد يد المعونة الى الدولة الناشئة فمن

أثرياء اليونان من قدم للحكومة السفن الحربية العظيمة هدية ومن ذلك الباخرة « أفيروف »

« وطنية الاتراك »

رأيتم تركيا الحديثة عند ما أرادت ان تجدد شبابها وتحافظ على كيانها وتمضى فى اسعاد شعبها سارع اثرياؤها لاعانة الحكومة بأيد ندية سخية ولم يتردد افراد الشعب التركى العظيم جميعه فى بذل كل ما استطاع لتزويد الحكومة بحاجتها من قوات الدفاع ومظاهر الاستقلال ، وكانت وما زالت المدن التركية تتبارى فى شراء الطيارات بل وفى شراء السفن الحربية وتقديمها هدية الى الحكومة المظفرة الموفقة

ان الوطن ليرحب بكل قرش يبذله وطنى فى سبيل اسلحة الجيش والدفاع فأنه يملأ صاحبه فخارا ويزيد الوطن اعتزازا ووقارا ، ويرتد الى صاحبه أضعافا ذلك ان ما تقتنيه الدولة من عدة الدفاع يزيدها مهابة ويكسبها منعة ، يتناول أثرها كل فرد فى الامة ، ولا جرم ان مصلحة الفرد هى مصلحة الجماعة ، وان ما يصيب الفرد من خير يشمل الجماعة ، ومن الحقائق المسلم بها ان لا تعارض بين مصلحة الفرد والجماعة وآية ذلك وتطبيقه على حالتنا ستظهره هذه المعاهدة ظهورا ساطعا .

يا حضرات الشيوخ والنواب : لقد اكرم الله مثوا كم وكنتم فألا حسنا على هذا الوطن فتم الاستقرار فى عصركم وتم الاعتراف بالاستقلال في عهدكم الميمون .

واجبنا ووصية سعد

(رئيس مجلس النوب)

ايها المصريون الراشدون . لقد اصبح عليكم وعلى سائر طبقات الامة واجبات تذكرونها ، وهى من الهام الوطن وحده ، كما يلهم رب الاسرة الواجب نحو أفرادها عن كيانها ووجودها وشرفها .

وانى لأردد وصية سعد الى حضرات الشيوخ والنواب ، بمناسبة العطلة البرلمانية اذ قال يخاطب اعضاء البرلمان الامجاد (انه واثق من انهم سيعملون أثناء العطلة على الوفاء بما وعدوا والعمل على ما يزيد النفوس ارتباطا والقلوب اغتباطا ويسير بالبلاد فى طريق التقدم والنجاح ، ثم قال رحمه الله : (يقضى علينا الواجب عقب الانصراف من البرلمان ان نجوس خلال الديار لنبحث عن الحقائق عند ناخبينا وأهلينا وندرك بالدقة كنهها . ويكون من المفيد الذى يجمل بنا الاتيان به اثناء هذا الطواف أن نشرح لمن نلاقيهم فى المدن والقرى ما قد يكون أجدى عليهم من المسائل التى عالجناها . ومن الاراء التى ابديناها . وان نكاشفهم بالمعلومات التى نكون قد اكتسبناها من تبادل الاراء بعضنا مع بعض . ومع من اختلطنا بهم من اولى الرأى ورجال الحكومة . وان نصارحهم الرأى بما نرى . ان كان ممكننا تحقيق رغبة من رغباتهم وما ليس فى حيز الامكان . لتستنير افكارهم وتصح انظارهم . وان نسعى بالصلح بين الاسر المتباغضة وان نمكن بالسلام فيها . وان نوصى الاهلين على حسن معاملة النزلاء بينهم ليزيدوا ما الفوه من اكرامهم ومجاملتهم وان نستعمل نفوذنا فى زيادة تأييد الامن واستقرار الراحة واقرار النظام .)

هذه هى وصية سعد الى أعضاء البرلمان فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٦ وهو رئيس لمجلس النواب . وهى وصية لا تفقد جدتها مدى الزمان

(وصية سعد رئيس الحكومة)

الى اعضاء البرلمان

وللزعيم الخالد سعد وصية أخرى قالها لاعضاء البرلمان وهو رئيس للحكومه فى ١٠ يوليه سنة ١٩٢٤ . قالها وهو يشيد بحسن معاونتهم . وينبه الى ماعليهم للوطن وللناخبين من واجبات . قال رحمه الله .

(اشكركم جميعا على انكم كرستم أوقاتكم لخدمة البلاد وعاونتم الحكومة معاونة فعالة فى القيام بالمهمة الشاقة التى أخذتها على عاتقها) ثم قال : حقيقة انكم عاونتم الحكومة

وكنتم خير سند لها فى تصرفاتها التى قصدت بها مصلحة البلاد . وأنا أشعر شعوراً حقيقياً بأننا كانا متضامنون متساعدون على العمل لمصلحة البلاد . وأود أن نتصرف من هذا المكان وقلوبنا نقية من كل شائبة . وأن لا نتحدث الى منتخبينا الا بكل ما كان يبديه كل منا للاخر من المعونة والمساعدة . اننا لا نريد الا أن نكون دائما وأبدا مترجمين عن شعور الامة وميولها ـ وليس فى نفسى لاحد منكم حقد ولا حسد ولا ضغينة . فان كان قد اخطأ مخطىء فى حقى فانى مسامحه . وان كنت قد اخطأت فى قول أو اشارة أو أى عمل من شأنه أن يغضب فأرجو الغاضب أن يسامحنى أيضا . وأهدى واجب شكرى بالنيابة عن نفسى وبالاصالة عن زملائى لحضراتكم ـ المعارضين والموافقين) .

هذه هى الوطنية الذاخرة والايات الباهرة التى كان يخاطب بها سعد أعضاء البرلمان ، وسعد خالدة ، ووصاياه خالده . فعلينا ان نحفظها ونرددها ، وأن نعمل بها ، وأن نوصي بها من بعدنا بمواصلة اتباعها لخير الوطن .

والان لقد ألقى علينا الاستقلال واجبات جديدة فليقم كل منا بواجبه بوازع الشعور بالمسئولية الشخصية لا من حيث ارشاد الاهالى فقط ، ولكن من حيث القيام باجابة نداء الوطن وقد دعانا اليوم جميعا أن نمد له يد المعونة لتعميره وانهاضه وصيانة استقلاله واستكمال امانيه ، فلنيسر بمعونتنا مهمة الحكومة الوطنية ولنعمل عمل المستقلين المسئولين ، ولنواصل العمل المثمر لانهاض هذا الوطن العظيم الجدير بهمة ابنائه وحكمة شيوخه وبطولة زعمائه .

والان أحنو هامتى شكرا واجلالا لعهد الوفاق ، عهد السلام ، عهد العمل لمجد الوطن ، وليكن يوم الاربعاء ٢٦ اغسطس سنه ١٩٣٦ من عهد صاحب الجلالة فاروق الاول ملك مصر وصاحب السودان أمجد أيام مصر . اذ فيه توج صبرها وجهادها بنعمة الاستقلال وآية النصر المبين .

« توقيع المعاهدة »

الخطبتان التاريخيتان لمندوبي الدولتين

اجتمع في لندن ضحى الاربعاء ٢٦ اغسطس سنة ١٩٣٦ مندوبو المملكة المصرية ومندوبو الامبراطورية البريطانية للتوقيع على المعاهدة ، وافتتح الجلسة جناب رئيس الوفد البريطاني مستر انطوني ايدن وزير الخارجية بخطابة ودية جامعة ، واعقبه دولة رئيس الوفد المصري الزعيم الجليل مصطفى النحاس باشا فألقى خطبة ودية من اعلى طراز سياسي ، ثم بدأ مندوبو مصر بتوقيع نسختي المعاهدة بالامضاء والخاتم ثم اعقبهم مندوبو بريطانيا في التوقيع كذلك . ونحن نورد هنا ترجمة الخطبتين التاريخيتين اللتين فاه بهما الرئيسان العظيمان . حسب ترتيب الالقاء فيما يلي : —

خطاب المستر ايدن

اصحاب الدولة والمعالي والسعادة

ايها اللوردات . سيداتي . سادتي

« كان من دواعي سروري العظيم ، ان اتمكن باسم حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة ، من الترحيب بأعضاء الوفد المصري في لندن ، وان اشترك ، بتوقيع معاهدة التحالف المصرية الانجليزية في الجهود الموفقة التي بذلت في الستة عشرة عاما الماضيه للوصول الى حل مرض للمشاكل التي انطوت عليها العلاقات الانجليزيه المصريه . فاذا كنا قد استطعنا الوصول الى هذه الخاتمه السعيدة فان الفضل يرجع الى الاعتقاد المتزايد في البلادين بأن مصالحهما مرتبطه ارتباطا لا تنفصم عراه

وقد عززت الحوادث الاخيرة هذا الاعتقاد كما عززه الادراك بان من الخير العميم ، فى عالم مضطرب اضطرابا شاذا غريبا ، ان نبحث عن وسائل للتعاون تعاونا اوثق ، للمحافظة على العلاقات الطيبه وصيانة المصالح المشتركة

ومع ان هذا الاعتقاد بوحدة مصالحنا كان عاملا جوهريا فى نجاح مفاوضاتنا فان روح التفاهم وحسن النية التى اظهرها الوفد المصرى بزعامة النحاس باشا القديرة فى خلال هذه المباحثات الطويلة قد ساعدت كثيرا على الوصول الى النتيجه التى نسجلها اليوم

وانى موقن بان الوفد المصرى يقرنى على ان هذه الروح قد تجلت بالمثل من جانبنا . وقد كان تأليف الوفد الرسمى المصرى أيضا من العوامل التى ساعدت مساعدة لها قيمتها على تدبير دفة المفاوضات ، ولما كان يشتمل على مندوبين لهم مكانتهم الساميه ممن ينتمون الى جميع الاحزاب فى مصر تقريبا ، فقد استطاع ان يتكلم بما له من سلطة وان يوحى الى النفوس الثقة التامة بان رأيه يمثل البلاد تمثيلا صحيحا ، فارجو ان لا يخلو هذا العامل من الأهمية فى المستقبل

لقد سمعت بعضهم يقول ان المعاهدة هى نهاية عهد في العلاقات الانجليزية المصرية ، ولكنى أفضل ان اعدها بداية لطور جديد ، وفى خلال هذا الطور ستكون العلاقات بين بلدينا خاضعة على الاكثر لنصوص هذه المعاهدة وبالبنود التى ستوقع عليها اليوم بامضاءاتنا

على انه مهما يكن مشروع المعاهدة قد وضع بعناية فان هناك شيئا كثيرا يتوقف على الطريقة التى ستنفذ بها وفى وسعى ان اؤكد لكم ان حكومة جلالة الملك ستسترشد فى تنفيذ المعاهدة بروح التعاون نفسها التى تشبعت بها في خلال المفاوضات الاخيرة ، وانى موقن ان الحكومة المصرية ستنفذ المعاهدة بروح ولاء مماثلة

وعندى ينبغى لنا ان لا نمر بذكر العلاقات الطويلة الامد بين شعبين دون اشارة الى الخدمات العظيمه التى اسداها لمصر فى خلال نصف القرن الماضى . رجال من الجنس البريطانى امتاز من بينهم اللورد كرومر بلا مراء فعملوا فخورين بروح التعاون الوثيق مع ممثلى الشعب المصرى الممتازين

وقد صمدت هذه العلاقة الطويلة خلال عشرات السنين التى وقعت فيها تغييرات اساسية فى كثير من بلاد العالم ، وكانت مصدر افتخار لجميع مواطنينا وقد حافظ السر مايلز لامبسون واعوانه عن جدارة على هذه التقاليد فى خلال جهودهم التى لاتعرف الكلل والتى بذلوها للوصول الى الاتفاق فى هذه المفاوضات

ان المعاهدة التى سنوقعها الان هى عهد على معاونتنا فى المستقبل واداة لهذا التعاون ونحن نرجو صادقين ان يكون التحالف الذى نفتتحه بعملنا هذا الوسيلة التى تمكن حكومتى بلادينا من العمل معا بروح الوفاق الوثيقة لترويج مصالحها المشتركة وان يكون هذا التحالف رمزا لشركة حرة وطيدة بين الشعبين المصرى والبريطانى

خطاب الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا

ايها اللوردات : اصحاب الدولة والمعالى:

اصحاب السعادة : سيداتى سادتى :

ان اصدقائى وانا لشديدو التأثر بالترحيب الذى قوبلنا به فى لندن وبالحفاوة التى اداها المستر انطونى ايدن وزير الخارجية الذى تفضل باظهار حفاوته نحو الوفد المصرى وبما ابداه من الترحيب الذى اقيم لهذا الوفد . وانا لنسجل مع السرور اشتراك المستر ايدن وزملائه العظام فى النتيجة السارة لجهود هذه السنين الطوال

والواقع انه قد بذلت محاولات متكررة لتقريب وجهتى النظر بين البلدين فمنذ استقرت فى رأس زعيم مصر الكبير المغفور له سعد زغلول باشا فكرة عقد معاهدة صداقة وتحالف بين شعبينا لم يتطرق اليأس الى قلوبنا للوصول الى نتيجة ملائمة لانه توجد بين البلدين مجموعة من المصالح المشتركة تكفى لان توجد بينهما روابط من التعاون والصداقة الدائمة

واليوم نقدم الى العالم الذى هو فريسة لتشنجات وهزات محزنة مثالا يدل على كيف يمكن الحصول على التوازن والتعقل والامل من طريق التفاهم الصادق وبروح

السلام ، خدمة لاغراض السلم ، متى كان فى التفهم الصحيح للحقوق والمصالح ، ما يصون سيادة الشعوب واستقلالها ضمن نطاق التضامن الدولى

ولا شك عندى ان وحدة مصالحنا كانت عاملا جوهريا فى مفاوضاتنا التى تكللت بالنجاح ، ولكن روح التفاهم وحسن النية التى اظهرها الفريقان قد سهلت كثيرا المهمة الشاقة التى كان علينا القيام بها لكى نضع علاقاتنا على قاعدة من الاحترام لاستقلالنا وصيانة مصالحنا

ولقد اقامت مصر ، بتأليف وفدها ، البرهان الساطع على انه لايمكن ان يكون هناك انقسام فى الرأى والمشورة متى كانت سيادتها وتبعتها الدولية مدار البحث والجدل . ولنا ان نبتهج جميعا بان عهد سوء التفاهم الذى كان فيما مضى مدعاة لانقسامنا قد انتهى ولكن هذا الانتهاء هو ايضا نقطة الابتداء

ولاريب ان امام كل امة من الامم مراحل جديدة لابد لها من قطعها وتبعات جديدة يجب عليها مواجهتها وهذا هو السبب فى اننا نشعر جميعا بالواجبات التى يلقيها تطبيق هذه المعاهدة على عاتقنا

وانا نقدر بكل سرور الجهود الخالصة التى لاتعرف الملل والتى بذلها المستر مايلز لامبسون وزملاؤه العظام . اما المعاهدة التى حددت قاعدة العلاقات بيننا فيمكن اعتبارها رمزا فقد ظهرت بريطانيا العظمى ومصر امام العالم كبلدتين صديقتين متساويتين اتحدتا تحت شعار التعاون الحر والتحالف الصادق

وان مصر مهد الحضارة المجيدة الماضية ، بتوقيعها على هذه المعاهدة التاريخية تضع يدها فى يد انجلترا العظيمة الحرة ، وبذلك يبدأ عهد جديد في علاقات الشرق والغرب .

كلمة المجاهد الكبير

بالنادى المصرى بلندن

احتفل النادى المصرى فى لندن بتكريم دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس

باشا وصحبه الامجاد فى مساء يوم توقيع المعاهدة ، وقد شكر دولته المحتفلين بكلمة مفعمة بآيات العطف ومجالى الوطنية، وتوالى الخطباء مشيدين بعظمة النحاس وجهود الوفد المصرى ، ثم ألح الحاضرون على المجاهد الكبير مكرم باشا بالقاء كلمة ، فنزل معاليه على رغبتهم واستهل خطبته بكلمات الرئيس الجليل ثم قال (ان المرء عاجز وخاصة عن التعبير عما يسر نفسه ويفرحها ، وقد أصبح واجبنا أن نهنئكم على الاستقلال الذى نلناه بفضل جهود شباب مصر)

مواصلة الجهاد

ثم قال (ان المصريين سيستخدمون استقلالهم فى مواصلة النضال ، فاذا كان استقلالنا ناقصا وفى حاجة الى التمام فسنعمل على اتمامه ، واذا كان تاما فانه ينبغى ان نزيده لانه لا يوجد حد للكمال لقد قرأتم المعاهدة ورأيتم ما حصلت عليه مصر فيما يتعلق بالسودان والامتيازات الاجنبية التى أؤكد لكم اننا نلنا فى صددها اكثر مما تدل عليه المعاهدة)

الرئيس الجليل

يخاطب الأمة المصرية بازاديو من لندن

فى الساعة الثانية بعد ظهر الجمعة ٢٨ اغسطس سنة ١٩٣٦ خاطب دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا الامة المصرية من راديو لندن خطابا عربيا مبينا عن استقرار الأمور بفضل توقيع المعاهدة ، وقد سمعت البلاد ذلك الخطاب بأعظم شغف وأمنت على كلمات الزعيم العظيم . وفيما يلى نص ذلك الخطاب : —

ايها المواطنون الاعزاء

من وراء البحار اهنئكم من كل قلبي فقد تم بحمدالله كما تعلمون فى يوم الاربعاء ٢٦ اغسطس سنة ١٩٣٦ توقيع معاهدة التحالف والصداقة بين مصر وبريطانيا

العظمى فاستقرت صلة الامتين على اساس ثابت شريف من الثقة والمودة والمساواة وافتتحت مصر عهداً جديداً من الحرية والكرامة والاستقلال فهو نتيجة سعيدة حق لنا ان نغتبط جميعا بها وان نجعل يومها عيد الاستقلال

وقد تجلت بالفعل مظاهر هذا الاغتباط وما زالت تتجلى فى مختلف المناسبات وهكذا تجنون اليوم بكل جدارة واستحقاق ثمرات النهضة المباركة التى حمل لواءها زعيمنا الخالد الذكر المغفور له سعد زغلول باشا وترسمنا فيها خطاه الى ان اذن الله بهذا الفوز المبين

ايها المصريون

بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن اخوانى اكرر شكرنا لكم على ذلك الوداع الرائع الذى شهدناه يوم ان غادرنا أرض الوطن وهذه الثقة الغالية والتهانى الكريمة التى تفيض بها برقياتكم وتتبعنا حيث نكون فنشعر كاننا ما زلنا بينكم تحيط بنا قلوبكم ويغمرنا حبكم ويسعدنا اخلاصكم الصميم

نشكركم اجمعين رجالا ونساء على اختلاف الهيئات والجماعات وفى المقدمة شيوخ الامة ونوابها المحترمون الذين تتمثل فيهم مصر المحبوبة احسن تمثيل

وهكذا ترضى فى علياء السماء روح سعد وارواح الشهداء المجاهدين

ايها المصريون

انكم لتعلمون ان للاستقلال تبعاته وللعهد الحرية مسئولياته وانى لعلى يقين بانكم بعون الله ناهضون بهذه المسئوليات حتى تأخذ مصر مكانتها اللائقة بماضيها المجيد

وعليكم ان تحرصوا كل الحرص على اتحادكم فقد كان له فضل مذكور فيما اصبناه من النجاح ونرجو ان يكون له فى المستقبل اثر محمود فى تقدم البلاد

ونرجو ان يعتبر كل واحد من حضراتكم هذا الشكر خاصا به اذ يعجزنا ان نرد على هذا العدد الهائل من حضرات المهنئين فرداً فرداً

وقبل ان اختتم هذا الحديث ارفع اسمى آيات الشكر والولاء الى حضرة صاحب الجلالة المليك المحبوب على سامى تعطفاته كما ارفع اخلص الشكر والاجلال

الى حضرات اصحاب السمو والمقام الرفيع ورئيس وأعضاء مجلس الوصايه الموقرين

والى الملتقى ان شاء الله بمصر فى اسعد الاوقات واطيب الساعات

حديث صاحبة العصمة

حرم الرئيس الجليل

عن جهاد المصريات

كان لوجود كرائم السيدات المصريات فى لندن بمناسبة توقيع المعاهدة أجمل وقع وأحسن أثر وقد شرفن المرأة المصرية واكسبن وطنهن جميل الأحدوثة . وقد أفضت حضرة صاحبة العصمة حرم الرئيس الجليل بحديث للصحافة البريطانية فى لندن تشف عباراته عن ذوق سليم وأدب جم وشعور كريم ووطنية عالية قالت عصمتها : —

« كانت زيارتنا للندن فرصة عظيمة لقضاء ايام مملوءة بالسرور خصوصا وقد شاهدنا توقيع المعاهدة والاغتباط الشامل ، كما كنا موضع الحفاوة والتكريم من الجميع وهو ما يستوجب شكرنا لهم ، ولا شك ان السيدات المصريات ميشاركن ابناء وطنهن العزيز فى بناء مستقبل مصر ، كما شاركنهم فى الجهاد والفوز » .

حديث للمجاهد الكبير

فى لندن عن المعاهدة

تحدث صاحب المعالى المجاهد الكبير مكرم عبيد باشا وزير المالية مع مراسل الاهرام فى لندن حديثا جامعا نفيسا عن المعاهدة وعن حفاوة الامة البريطانية حكومة

وشعبا بالوفد الرسمي ، ونورد ذلك الحديث القيم الذى جرى فى يوم الاثنين ٣١ اغسطس سنة ١٩٣٦ وقدكان لهذا الحديث اجمل وقع في مختلف الدوائر المصرية والبريطانية والاجنبية في مصر .

وعندما نقلت التلغرافات هذه الكلمة المفعمة بآيات الوطنية العملية ، رددها الناس فى مصر مؤمنين معجبين وأصبحت حديث المجالس أذ ألقت نوراً وضياء على الموقف وزادت النفوس ثقة بالمستقبل و ايمانا بحسن مصير الوطن .

وفيما يلى ذلك الحديث الخطير :—

انى مغتبط كل الاغتباط لان المعاهدة الانجليزية المصرية بدأت فى عهد يبشر بالخير العميم فى المستقبل، واظن أن فى وسعى ان اقول اننا جميعا سنغادر لندن ونحن نحمل معنا اسعد الذكريات لزيارتنا . ولقد كان لروح التفاهم والعطف الجديد التى تجلت في كل ناحية نحو مصر اثر كبير فى نفوسنا . فكانت علاقتنا مع الرجال الرسميين هنا مطبوعة بطابع الود الخالص واظهر المستر ايدن وجميع الوزراء البريطانيين الذين التقينا بهم رغبة صادقة فى الترحيب بحليفة بريطانيا الجديدة فى اشخاص وفدها الرسمى ، بل وفى الوصول الى التقدير الصحيح لوجهة النظر المصريه فيما يتعلق بجميع المسائل التى تناولها البحث بيننا ، وقد ذهبوا فى هذا الى حد لم اره فى اختباراتى الماضيه

ولم تكن روح الصداقة هذه نحو مصر مقتصرة على الدولة الرسمية بل ان كثيرين من كبار رجال الاعمال الذين اسعدنا الحظ بلقائهم ، قد اظهروا جميعا استعدادهم التام لتقديم مساعدتهم ومعاونتهم التى قد تنفعنا فى القيام بمهمتنا فى بناء مصر الحديثة وتوطيد دعائمها وبذلك جنينا ثمرة الصداقة التى اكسبتها اياها المعاهدة

كذلك ليست هذه الروح الجديدة باقل ظهورا بين جميع الطبقات فى الجمهور البريطانى فاينما ذهبنا تلقينا تحية رجل الشارع باخلاص جعلنا نعتقد بان الاعتراف بحقوق مصر بعقد معاهدة تحالف وصداقة قد حقق رغبة الشعب البريطانى نفسه وان خطة الحكومة البريطانية الجديدة نحو مصر المستقلة، ستجد بلا مراء تاييدا من جانب الشعب

«وقد مكنتنا زيارتنا من التعرف شخصيا بالمستر ايدن وزير الخارجية ، ولست فى حاجة الى القول بان شعورنا نحوه اكد ما كنا نتوقع وزيادة ، فقد وجدناه على اعظم جانب من المجاملة والتعقل . ولا شك عندى ان مهارته الديبلوماسية العظيمة يضاف اليها ادراكه الحر لحقائق الشئون الدولية ، من العوامل التى تبشرنا بمستقبل سعيد فيما يتعلق بالعلاقات التى بين بريطانيا ومصر المستقلة

تعجيل تنفيذ المعاهدة

«وقد استطعنا بفضل زيارتنا كذلك أن نتصل مباشرة بالساسة البريطانيين وكبار موظفى الحكومة فيما يتعلق بالشئون التى تماثل دين السودان لمصر ومسألة الاسراع على قدر الامكان فى تنفيذ مواد المعاهدة الخاصة بالامتيازات الاجنبية ولا ريب اننا وفرنا وقتا كثيراً بفضل هذه المشاورات الشخصية التى مكنتنا فوق ذلك من اتخاذ الخطوات الاولى في سبيل تبيان خطتنا فى مسائل مختلفة درسناها فى بناء مصر الحديثه وتوطيد دعائمه بوضوح ودقة اكثر مما لو تم تبادل الاراء هذا بمكاتبات تبودلت بين القاهرة ولندن

«اما عن كرم الحكومة البريطانية فاننا فى الواقع عاجزون عن التعبير عن شكرنا ، فقد بلغ اقصى حد . وقد كنا نعلم حق العلم قبل قدومنا ان هذا الوقت هو موسم الكساد فى لندن الذى يهجرها فيه اهلها ، ولذلك لشد ما كانت دهشتنا واغتباطنا عند ما رأينا ان كثيرين من كبار الانجليز قد حرموا انفسهم التمتع باجازتهم وجاءوا لاستقبالنا والمساعدة فى الترحيب بنا وانى شخصيا اشعر بان الفوز احاط بالمعاهدة من البداية وان الجو الذى ساد لندن فى خلال الايام العشرة الاخيره هو اعظم بشير بالمستقبل

الاتصال بجميع الاحزاب البريطانية

« ولا شك ان الشيء الكثير يتوقف على الروح التى تنفذ بها المعاهدة من الجانبين وان اتصالى هنا بالوزراء البريطانيين من جميع الاحزاب من محافظين وأحرار وعمال ترك فى نفسي اعتقادا سعيدا بان الجميع من جانبهم مصممون على ان

تحالفنا سيقوم على قاعدة صحيحة من الصداقة والتعاون والمساواة

وان روح التفاهم التى اظهرها السر ما يلز لامبسون فى جميع مراحل المفاوضات والتى ساعدتنا كثيراً فى الوصول الى اتفاق مرض للفريقين ، قد تجلى مظهرها الآن وبان فى خطة الوزراء البريطانيين ، وهكذا يبدو من المؤكد ان العلاقات الانجليزية المصرية ستسير فى طريقها سيرا سهلا وسنعود الى مصر احرارا ، لنحصر نشاطنا فى معالجة المشاكل العديدة المهمة من داخلية وخارجية التى تحتاج الى عنايتنا »

حديث الدكتور ماهر

فى كارلسباد عن المعاهدة

أفضى حضرة الوطنى الكبير الدكتور احمد ماهر رئيس مجلس النواب بحديث قيم الى مراسل الاهرام عن المعاهدة والتحالف مع الأنجليز ، اثناء اصطيافه فى كارلسباد ، وقد كان لهذا الحديث أطيب وقع فى البلاد حتى فى دوائر المعارضة ونورد هذا الحديث فيما يلى :—

« ان مصير بلادنا اليوم فى ايدينا ، وحقا ان المسئولية الملقاة الان على عاتقنا عظيمة جدا وانى لاشعر بقلق امام العبء الثقيل الذى ينبغى لنا ان نقوم به ، ولكنى وثيق الامل باننا سنقوم بمهمتنا على احسن وجه ، ولكن يجب ان يفهم الجميع انه لايزال امامنا شيء كثير يجب عمله وان الباقى هو الاهم . نعم ان ماقمنا به الى الان كان امرا صعبا ولكن الباقى هو الامر الجوهرى

فيجب ان نحمل الذين امضينا معهم المعاهدة على الثقة بنا وليس لنا مصلحة فى ان لانكون على صداقة مع الانجليز لان جميع الدول اصبحت الان مترابطة المصالح مما يدل على انه يستحيل على احدها ان تعيش مستقلة بنفسها . وعندما نبرهن على اننا قادرون على الدفاع عن بلادنا وعن القنال ، نرجو ان يكون الانجليز اول من يعترفون بذلك ، وان تسهل هذه الحالة علاقاتنا بهم

الامل بحكمة الجميع

« هذا وان ثقتى عظيمة واملى كبير فى حكمة جميع اصدقائنا بأنهم سيقيمون الدليل على مقدرتنا لتحقيق هذه المهمة على الوجه الاكمل »

« لقد قام كل منا الى الان بنصيبه من العمل للوصول الى عقد المعاهدة وليس من العدل ان نحمل على هذا او ذاك من اعضاء الوفد الرسمى فانهم جميعا قد عملوا على الحصول لوطنهم على احسن الشروط الممكنة . ولقد تساهلنــا فى بعض المسائل ولكن لم يتساهل احد منا فى شىء عن رضى واختيار

ولقد كان البعض منا يعلقون اهمية على نقطة معينة ولكن عمل الجميع كان قائما على الرغبة الصادقة فى خدمة مصر

البرلمان المصرى

« وقد دل البرلمان المصرى على وطنية صادقة بعد الدورة الحاليه على الرغم من الحر رغبة فى بحث الميزانية والموافقة عليها ، فدل كل واحد من كل حزب على حسن الارادة

فصل جديد فى تاريخ مصر

« اننا نكتب اليوم فصلا جديدا فى تاريخ بلادنا ويجب ان تتضافر جميع قوى البلاد للاشتراك فيه ، ففى ميــدان العمل متسع للجميع ، وبلادنا محتاجة الى جميع الجهود لان المهمة التى نقوم بها عظيمة جدا ، فيجب على كل فرد ان يبذل مجهوده لخير الوطن

الاحتفاظ بالاتحاد

واذا كنا فى اثناء المفاوضات قد توصلنا لتــذليل كل عقبة وازالة كل سوء

تفاهم فانى ارجو ان نحتفظ بهذا الاتحاد فتبقى جبهتنا الوطنية سليمة للعمل معا على اختصار المدة الطويلة التى حددتها المعاهدة ، وانا واثق من ان هذه الافكار تجول فى خاطر جميع الاحزاب الاخرى فالجميع يريدون ان يعملوا معا

» لقد وقع بين المصريين اختلافات كثيرة ، واختلافات كبيرة جداً ولكننا قد وصلنا الآن الى مرحلة يجب علينا فيها ان نعمل متضافرين لنحقق المستقبل الباهر لمصر الذى فتح الآن امامها » انتهى الحديث

* * * *

تاريخ الاحتلال البريطانى

ذكريات الانتصارات المصرية

مصر تجلى الجيش البريطانى فى سبتمبر سنه ١٨٠٧

بريطانيا تحتل مصر فى سبتمبر سنة ١٨٨٢

مصر المستقلة الحليفة فى سبتمبر سنة ١٩٣٦

جلاء الانجليز

لاينسى المصريون انه فى سبتمبر من عام ١٨٠٧ انتصر المصريون أعظم انتصار على الجيش البريطانى المحتل فى معركة (الحماد) قبلى مدينة رشيد وأعقب ذلك مباشرة اجلاء الحملة الانجليزية عن مصر وكانت قد هبطت مصر فى فبراير سنة ١٨٠١ بقصد المساعدة فى اخراج جيش نابليون بونابرت من مصر بالاتفاق مع

الجيش التركي والقوات المصرية وبعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر ظل الأتراك والانجليز والمماليك فى مصر ، ثم ساعد الأنجليز أعيان المماليك ضد السلطان وظلوا يوثقون بهم العلاقات ، وفى أوائل سنة ١٨٠٧ قررت انجلترا احتلال القطر المصرى وسيرت حملة كبيرة احتلت ثغر الاسكندرية فى مارس سنة ١٨٠٧ واخذت تمضى فى احتلال المدن والقرى واستولت على رشيد ولكن الوالى محمد على نظم جيشا قويا واجه به غزوة الانجليز واسترد رشيد وقهرهم ، ثم تراضى الانجليز على الجلاء فتم ذلك فى سبتمبر سنة ١٨٠٧ كما تقدم فكان نصرا تاريخيا لمصر .

ولما فتحت قناة السويس للملاحة فى نوفمبر سنة ١٨٦٩ زاد اهتمام الانجليز بشؤون مصر وتطلعوا الى بسط نفوذهم عليها فشجعت الحكومة البريطانية والى مصر على الاقتراض من البيوت الأنجليزية ، ونشط رئيس الوزارة البريطانية دزرائيلى الى شراء ما بيد الحكومة المصرية من أسهم قناة السويس واعتبر الشعب البريطانى ذلك العمل فتحا جديداً للامبراطورية البريطانية فى الشرق . وأفضى الارتباك المالى فى مصر الى تدخل الدول فى مختلف شؤونها الادارية والمالية والنظامية ، وسهرت انجلترا على الاستئثار باحتلال مصر ومهدت لذلك بعقد مؤتمر دولى فى القسطنطينية بحجة مواجهة حالة الارتباك الفاشية فى مصر خصوصا بعد ثورة الجيش المصرى فى سبتمبر سنة ١٨٨١ ، وحرص الباب العالى على عدم الاكتراث لهذه الاحداث بل تجاهل وجود المؤتمر الدولى فى الاستانه .

الدول والاستقلال الذاتى

ظلت انجلترا طوال القرن التاسع عشر تقص فى أجنحة مصر وتمهد لتدخلها بشتى الوسائل — ولما ظهر ان مصر تستطيع اذا وجدت حاكما قويا ذكيا أن تنهض مثل أمم الغرب ، وكان قد شاع صيت فتوحات الوالى الخالد محمد على عندئذ دعت انجلترا دول أوربا العظمى لوضع حد للنهضة المصرية والنزعة الاستقلالية ، فتقرر عقد موتمر لندن .

مؤتمر لندن يقيد مصر

وفى ١٥ يولية سنة ١٨٤٠ عقدت معاهدة لندن بين الدولة العثمانيةوحكومات بريطانيا العظمى والنمسا وبروسيا والروسيا فكان أهم ما اتفق عليه رأى الدول جعل مصر قطرا خاضعا لسيادة تركيا واعتبار الجيش والاسطول المصريين جزءا من قوات تركيا ، وأن تدفع مصر لتركيا جزية سنوية ، وأن تحصل كل الملاقات الخارجية لمصر عن طريق الحكومة التركية ، وأن تسرى المعاهدات العثمانيه على والى مصر ، الذى عليه ان يحكم مصر ، باسم السلطان فى حدود الاستقلال الذاتى ، وأن تكون الولاية للاكبر سنا من ذرية الوالى المذكور ، ويحدد جيش مصر فى زمن السلم بثمانية عشر الف جندى ، ويكون انشاء السفن بترخيص السلطان ، وفى زمن الحرب يزاد الجيش بأمر جلالته على ان يحارب فى صفوف الجيش العثمانى. ولما تولى اسماعيل تحرر من كثير من هذه القيود

تحرير الخديوى اسماعيل لمصر

نال اسماعيل فى عام ١٨٦٧ من السلطان لقب (خديوى مصر) ومعناه (الامير المعظم) وفى سنة ١٨٧٣ أصدر السلطان فرمانا يطلق يد الخديوى اسماعيل في عقد المحالفات التجارية وفى زيادة الجيش والاسطول واباحة القروض لحساب مصر ونظم وراثة العرش . وكانت حركة الاستعمار الاوربى فى الشرق على هدى العلم والاختراعات قد شملت مجاهل افريقيا فولع الخديوى اسماعيل بالفتوحات وطوق الحبشة بالجيوش المصرية وانبسط نفوذ الجيش المصرى على أقاصى السودان ، ومن ناحية ثانية اسرف اسماعيل وطفر في اصلاح الظواهر الخلابة قبل اصلاح حال الشعب فافضى كل ذلك الى اثقال البلاد بالدين وبوطأة النفوذ الاجنبي وانفرج المجال للتدخل البريطانى بالذات ، وهو الذى دبر لابعاد الخديوى اسماعيل عن عرشه . وجلس المغفور له الخديو توفيق مكانه والخزائن خاوية والجيش تضحى بمرتباته سدادا لمطالب اصحاب الدين المصرى الاجانب ، وسعى الانجليز للصيد فى الماء العكر فكانت مشادة

بين الجيش المصرى وبين مستشارى الخديو فى سبتمبر سنة ١٨٨١

حملة الاحتلال البريطانى

واكتشفت انجلترة سببا طريفا للاحتلال هو الرغبة فى حماية عرش الخديو من حملات الجنود الوطنية ، ونشطت تفسد أسباب المودة والتآلف بين الراعى والرعية . وفى نفس الوقت مضت تجهز اسطولها العمل فى مياه مصر بقيادة سير جارنت ولسلى واعلنت الحكومة البريطانية فى اوامرها الرسميه لهذه الحمله ان مهمتها معاونة سمو الخديو على توطيد سلطته المستمده من الفرمانات السلطانية والاتفاقات الدولية ، ثم منع وقمع الثورة العسكرية فى القطر المصرى

انذار الحكومة المصرية

وتقدم ان انجلترة دعت الدول الى مؤتمر يعقد فى الاستانة ، ثم في أواخر مايو سنة ١٨٨٢ رسا الاسطول البريطانى فى الاسكندرية وفى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢ أعلن قائده الحكومة المصرية انه بعد أربع وعشرين ساعة سيضرب طوابى الاسكندرية وقلاعها اذا لم تسلم تسليما للانجليز ، وأبلغ قناصل الدول بذلك وانه لخدمة عرش الخديوى

ضرب الاسكندريه

فى صبيحة ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ انتظم الاسطول البريطانى ١٥ سفينة مسلحة وبدأت باطلاق ١٥ قذيفه على طوابى الاسكندرية التى اضطرت من بعد ذلك للدفاع ثم مضى الاسطول يصب حممه حتى قوض القلاع المصريه وأسكتها ، وعندئذ احتلت القوات البريطانيه المدينة وكان الجيش الانجليزى خليطا من العساكر الهنود والعساكر الانجليز وغيرهم .

ثم سارعت قوة مؤلفة من ١٨ ألف بريطانى لاحتلال قناة السويس

مقاومة الامة المصرية

وساعدت الامة المصرية الجيش المصرى بقيادة احمد عرابى باشا على صد الحملة البريطانية ، وهم عرابى بردم قناة السويس ولكن المهندس فردنان ديلسبس اقسم له بشرفه ان القناة محايدة وانه باسم القانون الدولى سيمنع الحملة الانجليزية من استعمال قناة السويس . وخدع عرابى بهذا القسم بينما كان هذا الوعد ضربا من الايهام والخديعه .

اذ سرعان ما طوقت القوات البريطانية قناة السويس وزحفت صوب القاهره

موقعة التل الكبير

والتقى الجيش المصرى بالقوات البريطانية عند التل الكبير ، وبذر الانجليز المال على الضباط الضعاف الاخلاق والنفوس فأفشوا أسرار خطط الدفاع المصرى فدارت الدائرة على الجيش المصرى فى ١٣ سبتمبر وكانت عدته ٢٧ ألفا بينما الجيش البريطانى كان حوالى ١٧ الفا من الجنود المنظمه وتوارى الضباط الخونه ومزقت المدفعية البريطانية شمل الجيوش المدافعة ومضى الانجليز الى العاصمة .

احتلال القاهرة والقطر المصرى

وفى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ بلغ الجيش البريطانى حدود القاهرة وفى ١٥ سبتمبر احتل ثكنة قصر النيل والقلعة المصرية ثم اعتقلوا الزعماء المصريين العسكريين والوطنيين ، وبذلك ابتدأ الاحتلال وأخذ يتغلغل حتى شمل مصر والسودان .

واليوم يبدأ العام الخامس والخمسون للاحتلال البريطانى .

وليس هنا المقام لعرض ماجرى خلال الاحتلال فذلك عهد نودعه الان ، ونبدأ عهد الاستقلال والتمهيد للجلاء التام

المعاهدة تنهى الاحتلال

الاحتلال والجهاد الوطنى

ولقد صمم المصريون على رد استقلالهم واستشعروا قدر العار الذى يلحق بهم

من جراء توالى الاعتداء على كيان وطنهم ، والقت الامة مقاليد القيادة الى الوفد المصرى بزعامة رسول الوطنية وبطل الوحدة المصرية سعد زغلول ومن بعده الى خليفته الموفق أمام النهضة ومحرر مصر مصطفى النحاس ويريد الله أن يوفق الامة على يديه ، فيجعل بريطانيا تنشد من مصر حليفة وصديقة قوية ، ويوفق سياسة مصر الى الاتفاق مع ممثلى بريطانيا العظمى على تصفية ذلك الاحتلال الهائل فى أخصر زمن وبأيسر مايكون من الضحايا . اذا قيست بما بذلته أمم غيرنا فى سبيل استقلالها وحريتها .

ومن عجب ان ايطاليا صديقة انجلتره بالامس تقلب لها ظهر المجن وتهددها في البر والبحر والجو ، فسرعان ماتملى الحكمة ارادتها على سياسة بريطانيا فى مصر ويكون أول ثمرتها هذه المعاهدة التى هى فاتحة لانهاض مصر وتعاونها الحر الشريف مع خصم الامس وحليف اليوم

* * *

علاقات الانجليز بمصر

كيف بدأت وكيف تطورت

وكيف انتهت بالمعاهدة والتحالف

مصر وسياسة بوغاز السويس وقناتها

نظرة تاريخيه : — ان تاريخ مصر منذ بداية القرن التاسع عشر يشغل مكانا رئيسيا فى عالم السياسة البريطانية بالشرق ، حيث المصادر الحيوية لتموين الجزر البريطانيه بالاغذيه والمواد الأولية (الخامات) لدور الصناعة ، فضلا عن سيطرة الانجليز على أسواق شرقية كبرى تكفل تصريف بضائعها وثمرات مصانعها .

وكان الشعب الانجليزى حتى القرن السادس عشر يعيش على رعى الاغنام وصيد الاسماك وفلاحة الارض والنقل البحرى ، وكانت انجلترة عاطلة عن الصناعات

الكبرى التى هى مصدر جميع الحضارات الحديثة ومبعث نهضات الدول القوية .
ولقد كانت انجلترة تنتج الأصواف من اغنامها ثم يشتريه تجار هولنده حيث تقوم مصانعها بغزله ونسجه ، كما تنتج مصر القطن وتصدره الى مصانع المملكة البريطانية وغيرها من الاقطار الصناعية . فلما أخذت بريطانيا بأسباب الصناعة ظهرت حاجتها الى التوسع التجارى وامتد أفق نظرها الى الشرق ، وكان ولا يزال طريق السويس والبحر الأحمر هو أخصر مجاز الى الشرق .

طريق الخير والشر

من البحر الاحمر الى البحر الابيض

انشأه المصريون وجدده الفرس — البطالسة — الرومان — العرب — الفرنسيون والمصريون —

ان مصر بموقعها الجغرافى هى المعبر الرئيسى لتجارة القارات الشرقية مع اوربا والجزر البريطانية ، وكان قدماء المصريين أول من وصل الشرق بالغرب بالطريق المائى حيث أنشأ الملك سيتى الاول حوالى عام ١٣٨٠ قبل الميلاد ترعة تصل النيل بالبحر الاحمر ، وأعاد كريها الفرس فى عام ٥٢٠ ق م ومعلوم ان مجرى النيل أعلى من البحر ، وقد عرفت هذه القناه الملاحية بترعة (سيزوستريس) الذى هو اسم من اسماء الملك رعمسيس الثانى . وكانت كلما طمرت هذه القناة تجدد اهتمام الحكومات القديمة الوطنية والمحتلة على السواء بطريق ايصال البحرين الاحمر والابيض ،وقدعنى ملوك مقدونيا الفاتحين المعروفين بالبطالسة وهم اجداد الالبانيين البواسل الذين تحدر من دوحتهم البطل محمد على مؤسس مصر الحديثة،عنى ملوك البطالسة باعادة حفر ترعة تمتد من النيل عند موقع بنها الى ما يقرب من موقع بور سعيد ،وكانت البضائع فى المنطقة الارضية تحمل على ظهور الابل والدواب ، وأوصل البطالسة الترعه بالبحر الاحمر ، وروى المؤرخ استرابون الذى زار مصر قبل عهد المسيح انه شاهد تلك الترعة الملاحية قائمة ومطروقة بالسفن . ثم جاءت الملكة كيلوبطره

ووارت فيها أسطولها فرقا من غزوة الرومان ثم طمرت القنـاة بالرمال الى أن أعاد كريها الرومان فى بداية القرن الثانى الميلادى ،وجعلوا ثغرها الداخلى عـند حصن بابليون قرب فم الخليج ومصر القديمة

خليج امير المؤمنين

ولما فتح عمرو بن العاص مصر أعاد وصل النيل بالبحر الاحمر فجدد الترعـة القديمة وأجرى فيها الجوارى والقوارب لنقل خراج مصر وخيراتها الى الحجاز ، ثم اطلق عليها اسم « خليج أمير المؤمنين » وقد ظلت قائمة تسعين عاما الى أن طمرها الخليفة ابو جعفر المنصور العباسى فى عام ٧٧٠ ميلادية لكى يقطع صلته بعامله الثائر عليه فى الحجاز .

اهتمام أوربا بطريق الشرق

منذ فتح الاسكندر المقدونى مصر والهند وكثيرا من أقطار الشرق في اوائل القرن الرابع قبل الميـلاد ، من ذلك الحين تفتحت أعين الأقطار الاوربية الى طريق الشرق والى خيراته والى بلاده الغنية وتمثل ذلك اولا فى فتوحات الرومان فى الشرق ثم فى نشاط جمهوريتى جنوة والبندقية بالبحر الابيض المتوسط ، وكانت أساطيلهما تنقل تجارة الهند والشرق من ثغور مصر والشام الى انحاء أوربا ، وكانت اساطيل مصر التجارية فى البحر الاحمر على اتصال بالهند والاقطار الشرقية فى عهود المماليك المختلفة ، وكانت حـكومة مصر تتقاضى مكـوسا على البضائع مرتين الاولى عند وصولها من البحر الاحمر الى مصر والثانية عند شحنها في ثغور مصر على البحر الابيض الى اوربا

نهضة اوربا الاستعمارية

واثرى المماليك وأثرى تجار البندقية ، ودبت روح التنافس فى البورتغال فقـام ملوكـها وتجارها وملاحوها يسعون الى كنوز الشرق والهند ، حتى اهتدوا الى

طريق رأس الرجاء الصالح فى ختام القرن الخامس عشر ، فى الوقت الذى اكتشف الرحالة كرستوف كولومبس بلاد امريكا . ثم نشط الهولانديون والفرنسيون والانجليز بدورهم الى الاتصال بالشرق ، وتسابقت هولنده وفرنسا وانجلترا فى بناء الاساطيل وشق عباب البحار والاستيلاء على اقطار الهند والشرق وامريكا ، وفازت انجلتره على هولندة فى السيادة على الهند . ومن ذلك الوقت بدأ اهتمامها بالسيادة على البحر الأبيض المتوسط والبحر الاحمر لتحصر فى يدها الطريق الرئيسى للهند والشرق ، ونشطت انجلتره الى تأمين مواصلاتها البحرية ، وقد أصبحت مصر من أواخر القرن الثامن عشر ميدانا للتنافس بين فرنسا وانجلترة ، وكانت فرنسا قد فكرت من قبل فى القضاء على نفوذ هولنده فى الهند قبل الاحتلال البريطانى بأن تستولى على مصر وذلك أن الملك لويس الرابع عشر فى سنة ١٦٧٢ أراد اشهار الحرب على هولندة فنصحه العالم الالمانى ليبنتز بأن يختصر الطريق ويستولى على مصر ويحفر ترعة من السويس الى البحر الابيض تقضى على حياة هولنده التجارية وتجعل فرنسا سيدة الهند والشرق والعالم.

وتشيع نابليون بونابرت بنصيحة العالم الالمانى ورأى بدوره أن يقضى بها على الامبراطورية البريطانية فى الهند والشرق .

غزوة فرنسا لمصر

بداية تدخل الانجليز

دون أن ندخل فى تفاصيل تاريخية فقد فتح الفرنسيون مصر فى يوليه سنة ١٧٩٨ واجلوا عنها فى سبتمبر سنة ١٨٠١ . وبدأ الفتح الفرنسى لمصر بتدخل الاسطول البريطانى الذى تتبع الحملة الفرنسية فى البحر الابيض المتوسط وحطم العمارة الفرنسية فى واقعة ابوقير قرب الاسكندرية فى أول اغسطس سنة ١٧٩٨ فكانت فاتحة سيادة بريطانيا على البحار .

ودرس الفرنسيون اثناء احتلالهم مصر، على الطبيعة ،مسألة ايصال البحرين

الاحمر والابيض بقناة .

وحرص الانجليز على تعجيل جلاء فرنسا عن مصر فتعقبوا جيوش بونابرت فى سوريا وألبوا عليهم المماليك فى مصر واستفزوا سلطان تركيا لتجريد حملة عسكرية ضد الاحتلال الفرنسى ، وجاءت الحملة التركية وبين قواتها الضابط محمد على مع جنود البانيين

وتحالف الترك والانجليز والمماليك على مقاومة فرنسا حتى تم جلاء الجيش الفرنسى عن مصر .

ولكن حرصت فرنسا على استدامة نفوذها الادبى والسياسى فى مصر بعد جلاء جيوشها عنها .

وقادت البداهة فرنسا الى انشاء علاقات وثيقة مع والى مصر ومع الشعب المصرى مباشرة ، وأوعز نابليون الى قنصل فرنسا العام فى الاسكندرية ان يصطفى بين الضباط رجلا موهوبا خصب الذكاء قوى الشكيمة ويزوده بنفوذه وثمراته حتى يتبوأ كرسى الولاية ، وكانت الحرب مع فرنسا فى مصر قد كشفت عن مواهب الرجال فى ساحات النضال ؛ لهذا لم يطل بحث القنصل اذ اهتدى الى الضابط محمد على ، كما اهتدى الى العلماء وذوى النفوذ من صميم المصريين ووضع يدهم فى يد محمد على فنادوا به واليا على مصر بمحض ارادتهم واختيارهم . فكان هذا صوت الشعب المصرى الذى نادى بالبيت العلوى الكبير على رأس مصر .

أما ذلك القنصل الفرنسى فهو والد مهندس قناة السويس فرديناند دى ليسبس

وقد استغل الفرنسيون نجاح مسعاهم فنالوا حظوة فى عينى ولاة مصر وظفروا بامتياز قناة السويس . ولكن ظل الانجليز يعملون على منافستهم فى مصر ، وقد تغلبوا فيها ، واحتلوها وطال النضال بينهم وبين المصريين ، حتى أذن الله بالصلح والسلام .
وسنبين هنا تاريخ الاحتلال البريطانى لاهميته : —

الحرب الكبرى والحماية البريطانية

اعلان الحكم العسكرى والغاء الحماية التركية

ظلت مصر ولاية تابعة للسلطنة العثمانية من وقت أن فتحها السلطان سليم فى سنة ١٥١٧ الى أن ألغيت الحماية التركية فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ واعلنت الحماية البريطانية على مصر فى نفس التاريخ ، ومهد لذلك بأعلان الاحكام العرفية أو العسكرية على القطر المصرى فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ بأمر الفريق ماكسويل قائد الجيوش البريطانية فى مصر وقد نشر فى الجريدة الرسمية وفى الصحف والصق نصه على الجدران فى الشوارع والميادين والدور العامة والدواوين .

وتداولت الحكومة البريطانية مع صاحب السمو الامير حسين كامل لاعتلاء عرش آبائه فى سبيل المحافظة على كيان مصر وضمان رفاهيتها فى المستقبل وسعادتها والتغلب على المؤثرات التى يراد بها العبث باستقلال مصر ورفاهية أهلها وحريتهم — على حد تعبير المرحوم الملك جورج الخامس فى تلغراف تهنئته لعظمة السلطان حسين كامل .

وفى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ صدر اعلان الحماية البريطانية الآتى نصه :—

نص اعلان الحماية البريطانية

« يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند انه بالنظر الى حالة الحرب التى سببها عمل تركيا قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته وأصبحت من الان فصاعداً من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية ، وبذلك قد زالت سيادة تركيا على مصر ، وستتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية اهلها ومصالحها »

نظام الحماية و الغاء نظارة الخارجية

وفى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ ابلغ سير ملن شيتهام باسم الحكومة البريطانية صاحب السمو الامير حسين كامل رسميا بالظروف التى سببت نشوب الحرب بين بريطانيا وبين سلطان تركيا وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير فى مركز مصر السياسى ، وذكر ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعتبر وديعة تحت يديها اسكان القطر المصرى جميع الحقوق التى استعملتها فى البلاد مدة سنى الاصلاح الثلاثين الماضية ، وقال ايضا ، « وبزوال السيادة العثمانية تزول ايضا القيود التى كانت موضوعة بمقتضى الفرمانات العثمانية لعدد جيش سموكم الخ

ثم قال التبليغ « اما فيما يختص بالعلاقات الخارجية فترى حكومة جلالته ان المسئولية الحديثة التى أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعى ان تكون المخابرات من الان بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الاجنبية بواسطة وكيل جلالته فى مصر »

ثم اعرب التبليغ عن عدم ملاءمة الامتيازات الاجنبية لتقدم البلاد ، ولكن اقترح تأجيل النظر فى تعديل هذه المعاهدات — على حد تعبيره — الى ما بعد انتهاء الحرب .

عهد السلطنه والوزارة بدل النظارة

وفي ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٤ اعتلى عظمة السلطان حسين كامل العرش واستبدل اسم النظارة بالوزارة مع حذف وزارة الخارجية التى نقل اختصاصها الى الوكالة البريطانية في مصر .

مساعدة مصر للانجليز والحلفاء

واقحمت مصر فى الحرب العظمى وحرمت من نعمة الحياد التام طوال سنى

الحرب الطاحنة ، وخلدت البلاد الى السكينة وجملت مرافقها ومواصلاتها وحاصلاتها ودوابها تحت تصرف السلطة العسكرية البريطانية كما استغرقت ميادين القتال والعمل فى الشرق وفى الدردنيل نحو المليون ونصف المليون من خيرة العمال المصريين والصناع والفلاحين والجمالة ، كما احتكرت انجلترا القطن المصرى وحددت ثمنه . كما اشترك الجيش المصرى فى القتال على الحدود ، كما قضى بأن تقدم الحكومة المصرية عدة ملايين الجنيهات بصفة اعانة الى الانجليز للدفاع . وقد وصف القواد الانجليز وفى مقدمتهم لورد اللنبى مساعدات فرق العمال المصريين فى ميادين الحرب بأنهـا كانت حاسمة وفعالة فى احراز النصر .

وقد اعتصم زعماء مصر بالصبر على هذه التضحيات املا بأن تـكافأ مصر برد وديعة الاستقلال اليها عندما ينتصر الحلفاء . ولـكن ساد البلاد روح استياء . من جراء الشدة فى تقديم العمال (المتطوعين) بالاكراه .

انتصار الحلفاء والهدنة

تسجيل الحماية فى مؤتمر فرساى

وفى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ اعلنت الهدنة وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء على الالمان. فأملوا عليهم شروط الصلح المعروفة فى مؤتمر فرساى . وفى ١٣ نوفمبر توجه الزعماء سعد زغلول باشـا وعلى شـعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك الى المعتمـد البريطانى سير ونجت يطلبون رد وديعة الاستقلال والغاء الحـكم العسكرى والرقابة على الحريات ، وبهت المعتمـد البريطـانى لجرأة هؤلاء الثلاثة الـكرام على مطـالبة بريطانيا العظمى بوديعة الاسـتقلال غداة انتصارها على الالمـان . والحوافى ان لا تعترضهم الاحكام العسكرية عن السفر الى لندن لتسوية القضية المصرية مع الحكومة البريطانية . ولكن المعتمد البريطانى كان وقتئذ منهمكا هو والمستشارون الانجليز فى تنظيم اوضاع الحماية فى قالب مدنى بادئين بتحويل المحـاكم المصرية الى محـاكم انجليزية . لهذا رفض المعتمد مطالب مصر . وقد سجل صوت مصر الاجمـاعى

بتلك المقابلة التاريخية . وسارعت انجلترا الى العمل لجعل الحماية شرعية من الدول ولهذا افردت المواد من ١٤٧ الى ١٥٤ للحد من علاقات المانيا بالقطر المصرى ، وانتزع منها اقرار واعتراف بالحماية البريطانية على مصر التى اعلنت فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وبتنازلها الى بريطانيا عن الامتيازات الاجنبية وعن سلطات جلالة سلطان تركيا على قناة السويس المقررة بموجب المعاهدات الدولية ، ثم عقد الصلح مع النمسا فى مؤتمر سان جرمان والصلح مع تركيا فى مؤتمر سيفر ،

وتضمنت شروط الصلح أيضا اعتراف الدولتين بالحماية البريطانية على مصر فدل كل هذا على أن انجلترا ترى أن مصر غير جديرة بالاستقلال وأن لا خوف من اطالة أمد الحماية . ولكن ذلك التصرف أغضب شعور المصريين فضجوا بالشكوى من تجاهل الدولة المحتلة لأمانيهم الوطنية رغم انتصارها الذى ساهمت فيه مصر بسخاء من دماء ابنائها وأموال شعبها .

* * *

يقظة مصر للمطالبة بالاستقلال

الزعماء ينهضون بالرسالة الوطنية

تأليف الوفد المصرى — تفاهم سعد باشا

وسمو الأمير الجليل عمر طوسون ـ جهاد رشدى باشا وعطفه

لما انتهت الحرب الكبرى بانتصار الحلفاء وبريطانيا نشط الوطنيون المصريون بزعامة سعد باشا وكيل الجمعية التشريعية المنتخب لمطالبة الانجليز بانهاء الحماية واعلان استقلال مصر باسم حق تقرير المصير الذى عززته مصر بتضحياتها في الحرب .

وتفاهم الزعيم سعد مع الامير عمر طوسون على تشكيل الوفد المصرى على هــدى الوحدة المقدسة . وتسابق عنصرا الامة — المسلمون والاقباط — فى توثيق عرى الوحدة الوطنية .

* * *

النحاس مع سعد
منذ فجر الجهاد الوطنى
فضل القاضى مصطفى النحاس
فى تشكيل الوفد وانهاض الروح الوطنية

لقد اعتزت الثورة المصرية منذ الساعة الاولى بعطف القاضى الوطنى مصطفى النحاس بك الذى كان القلب النابض فى العاصمة لنادى المدارس العليا ، وكان طابع شخصيته الوطنية كمثال كامل للمصرى فى مختلف مراحل الحياة ، وكان الهامه الوطنى يسرى فى البيئة التى يحل فيهــا مسرى الشمس ، وكان عنوان الرجولة ولطف المعــاشرة ، ايما حل ، وكان مثال الرجل الامين العــادل والصديق المنكر لذاته المضحى لغيره البار بمن حوله ، وقد عرف فيه الزعيم الخالد سعــد باشا تــلكم السجايا عن كثب فــكان يحييه فى منفى سيشل بالعبارة المأثورة عنه قائلا (أهلا بالنحاس سيد الناس) . ولما هبت مصر للمطالبة باستقلالها عقب اعلان الهدنة فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ لم يكن مصطفى النحاس غريبا عن الحركة فقد حدثنى دولته أنه كان يترقب انتهاء الحرب ليعمل على مطالبة الانجليز برد أمانة الاستقلال الى مصر ، وعندما انتهت الحرب فعلا كان قاضيا فى محكمة طنطا يؤدى عمله القضائى ، كما يعلم الجميع ، على اكمل وجه واعلى مثال ، ثم مابقى من الوقت يحرمه على نفسه ويهبه لتغذية الحركة الوطنية ورسم الخطط للنهوض بالقضية المصريه الــكبرى ، وكان دائم الاتصال بالزعيم سعد ، وأصحاب سعد هم اصحــابه ، وكان بلا ريب

للقاضى مصطفى بك النحاس أعظم الاثر فى نجاح تشكيل الوفد المصرى ممثلا للنهضة الوطنية أوفى وأحكم تمثيل ، وكان يحضر يوميا من طنطا الى العاصمة لهذا الغرض المقدس إذ كان قدوة الوطنيين المثقفين ورجاهم المختار والحكم القوى البار .

الوفـــد والوحدة الوطنية

وظهر اجمـاع الرأى العام جليـا فى تفويض الوفـد المصرى وفى تشكيله برآسة الزعيم سعد زغـلول للسعى الى استقلال مصر حيثما وجـد للسعى سبيل . وكان دولة حسين رشدى باشا لم يزل فى دست رآسة الوزارة ، وكانت الاحـكام العسكرية مبسوطة على البلاد تتنكر للحركة الوطنيةومع ذلك التزم رشدى باشا جانب الحياد وأظهر عطفه على الحركة الوطنية

نشر الوفد المصرى لواء الوحدة المقدسةوالتآخىفى سبيل الوطن الى الابد بين المسلمين والاقبـاط ، والدين لله والوطن لاهله .

وتتابعت الحوادث السياسية المعلومة ، وتوالى قمـع الحركة الوطنية واضطهاد الوطنيين والزعماء بأحكام الاعدام والسجن والاعتقال والنفى والمصادرة للاموال والتعذيب بشتى الوسائل ، وأجترأوا على نفى الزعيم سعد وصحبه الى مالطة وثارت البلاد احتجاجا فأطلقوا سراحهم ، وبعد مرحلة جهاد عاد الانجليز فاعتقلوا الرئيس سعدا وصحبه ونفوهم ثانية الى عدن والى جزر سيشل ثم نقلوا سعدا الى معقل جبل طارق ماراً فى طريقه بمصر امعانا فى تعذيبه .

ابطال سيشل والغاء الحماية

وكذلك نفى الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا والمجاهد الكبير مكرم عبيد باشا فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ الى عدن ثم الى جزر سيشل فثارت الامة من جديد انتصارا لابطال الوطن ابطال سيشل وبعد طول جهـاد البلاد وتعذيب الزعماء بالمنفى وبالسجون والمعاقل تغلبت أخـيرا الحـكمة على الهوى والقسوة وجنحت بريطانيا للسلم . وفى اثناء نفى الزعماء اعلنت بريطانيا تصريح ٢٨ فبراير

سنة ١٩٢٢ وعقتضاه الغيت الحماية البريطانية ، فكان كرامة من كرامات ابطــال سيشل وهم فى المنفى .

* * *

سياسة ملنر واللنبي

« ان انتهاء الحماية والاعتراف بالاستقلال هو ثمرة الجهاد القومى » الملك فؤاد

وثيقة ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

اسفر نضال الامة وتضحياتها ونفى زعمائها عن ســـعي الانجليز لتسكين الخواطر والعمل على نوع من الاستقرار مهدوا له بوثيقة رفعها المندوب السامى لورد اللنبي الى عظمة السلطان باسم الحكومة البريطانية فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ومما جاء فيها (أن بريطانيا العظمى صادقة الرغبة فى أن ترى مصر متمتعة بما تتمتع به البلاد المســـتقلة من مميزات اهلية ومن مركز دولى ، وان بريطانيا انما تســتبقى موظفين انجليز لوزارتى المالية والحقانية فقط بقصد استبقاء اداة اتصال تستدعيها حماية المصالح الاجنبية

« وليس ثمت مايمنع منذ الآن من اعـــادة منصب وزير الخارجية والعمل لتحقيق التمثيل السياسى والقنصلى لمصر ، أما انشاء برلمان يتمتع بحق الاشراف والرقابة على السياسة والادارة فى حكومة مسئولة على الطريقة الدستورية فالأمر فيه يرجع الى عظمتكم والى الشعب المصرى .

ثم شفع المندوب السامى هذا الخطاب بوثيقة عنوانها (تصريح لمصر) وعلى أساس هذا التصريح وذلك الخطاب الرسمى المرفوع الى عظمة السلطان حيكت الانظمة الادارية والدستوريه المعمول بها من ذلك التاريخ الى الآن)

وسنرى ان جهاد الامة بزعامة الوفد المصرى قد انتزع لمصر كثيراً من مظاهر الاستقلال وأسرع بانضاج الشعب للحكم الدستورى ، واكسب مصر جدارة وطنية وثقة دوليةعلى مر السنين تكالتا أخيراً بالصلح والمعاهدة بين الدولة المصرية والدولة البريطانية . ولا يمكن معرفة حقيقة مزايا هذه المعاهدة الا بمراجعة وثيقة (تصريح لمصر) الصادرة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ .

نص تصريح ٢٨ فبراير

تصريح لمصر : — بما أن حكومة جلالة الملك عملا بنواياها التى جاهرت بها ترغب فى الحال فى الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وبما ان للعلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين مصر أهمية جوهرية للامبراطورية البريطانية فبموجب هذا تعلن المبادىء الآتية : —

(١) انتهت الحماية البريطانية على مصر وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة .

(٢) حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون التضمينات (اقرار الاجراآت التى اتخذت باسم السلطة العسكرية) نافذ الفعل على جميع سكان مصر تلغى الاحكام العرفية التى أعلنت فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤

(٣) الى ان يحين الوقت الذى يتسنى فيه ابرام اتفاقات بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالامور الآتى بيانها ، وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الفريقين تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولى هذه الأمور وهى : —

ا — تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية فى مصر .
ب — الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تداخل أجنبي بالذات أو بالواسطة
جـ — حماية المصالح الاجنبيه فى مصر وحماية الاقليات .
د — السودان .

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهــذه الامور على ما هى عليه الآن » انتهى .

وواضح أن أهم عيب فى هــذه الوثيقة فى نظر مصر انها وان اعترفت بانهاء الحماية والاعتراف بمصر دولة مســتقلة فقد احتفظت بريطانيا بصورة مطلقة بأهم خصائص السيادة والاستقلال .

وفى حدود هذه التحفظات أعلن سـيد العرش استقلال مصرفى ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ ونادى بنفسه ملــكا على القطر المصرى .

قيام وزارة الخارجية والدستور ثمرة الجهاد القومى

وفى اول مارس سنة ١٩٢٢ وجه عظمة السلطان أمرا كريما الى المرحوم محمد عبد الخالق ثروت باشا يكلفه بتأليف وزارة يكون من بينها وزير للخارجية واعداد مشروع دستور يحقق التعاون بين الأمة والحكومة ، وصدر عظمته الخطاب بالاعتراف بجهاد الأمة المصرية فى الديباجة التالية :ـ

« أن القرار الذى ابلغنا إياه حضرة صاحب المقام الجليل المندوب السامى لدولة بريطانيا العظمى فيما يختص بانتهاء الحماية البريطانية على مصر وبالاعتراف بها دولة مستقلة ذات سيادة يحقق أعز أمنية لنا ولشعبنا العزيز . وهو ثمرة الجهاد القومى . »

ولكن الامة المصرية الناهضة شعرت أن عزتها قد جرحت بتصريح ٢٨ فبراير الذى يعلن انتهاء الحماية فى غيبة الزعماء وكلاء الشعب المنفيين فى جزر سيشل البريطانية . فضلا عن أن الاحتفاظ بتلك التحفظات اثار الريب حول العهد الجديد وأثار احتجاجا عاما ولم يسع بريطانيا بعد طول القطيعة والمرارة الا ان تكرم تلك العاطفة المصرية الوطنية أخيرا . فاطلقت سراح الزعماء الابطال من سيشل وجبل طارق والماطه وسائر المعتقلات . وانتصرت الامة بحكمة الشعب ورويته فى تلك المرحلة . واعلن الدستور واجريت الانتخابات الحرة فظهرت ارادة الامة جلية فى اصطفاء غالبية الشيوخ والنواب من انصار سعد . وعهد جلالته الى زعيم الامة سعد باشا بأول وزارة برلمانية دستوريه . ولكن لم يلبث ان وضعت له العقبات والالغام فى طريق الحكم .

عواقب السياسة الملتوية

حيال الغاء الحماية واعلان الدستور

التحفظات مصدر الكوارث وسوء التفاهم

حماية الاجانب — حماية الاقليات — ادارة السودان ومرافقه

ولم يبق سرا أن المندوب السامى الفيلد مارشال لورد اللنبى كان رجلا صريحا نزيها ولكنه لم يكن سياسيا موفقاً بقدر ماكان عسكريا ناجحا . ولقد سعى للتعاون والصلح بين مصر وبريطانيا ،، فكان أول وأجرأ وأصرح انجليزى مسئول قال لحكومته ان مصر بعد ثورتها يستحيل أن يحكمها الانجليز بغير المصريين وان التعاون ايضا يستحيل مالم تلغ الحماية ويعلن استقلال مصر ، ولو قال هذا و كفى لعجل

بالصلح الشامل بين مصر وبريطانيا ، ولكن غلبته الروح العسكرية فاوصى ان يقترن اعلان الاستقلال بتحفظات تجعل ادارة مصر وصميم مرافقها الحيوية فى قبضته العسكرية . كما أنه لم يطق المطالبة بالافراج عن الزعماء من منفاهم كأنه عد اطلاقهم وعودتهم هزيمة لكبريائه العسكرى ، ونسي ما قالته لجنة ملنر فى تقريرها سنه ١٩٢٠ عن اسباب الثورة المصريه ونتائجها فى صدد نفى الزعماء وابعاد الزعيم الخالد سعد باشا الى مالطه حيث ابانت لجنة ملنر ما فيه العبرة الكافيه اذ قالت ما نصه « لم يمض على ابعاد زغلول باشا وشركائه اسبوع حتى قامت حركة على الانجليز بل على الاوربيين عموما وبلغت حدا تخشى عواقبه . وكانت حركة وطنية تؤديها أميال جميع الطبقات والمذاهب فى الامة المصرية . وفى جملتهم الاقباط . »

مغارم المشاكل المعلقة

ملايين الجنيهات للأجانب — السعى لتفريق وحدة الامة

ابعاد مصر عن السودان

رأت الحكومة البريطانية قبل ان تجنح للسلم مع الوفد المصرى إن تعتصر باسم التحفظات الاربعة الشيء الكثير على يد الوزارات الادارية ومن ذلك أخذ ملايين الجنيهات هبة للموظفين الاجانب الذين يتركون مناصب الحكومة المصرية. كتعويض عن مفارقتهم الوظائف المصريه .

وقد عالج الانجليز بكل حيلة أن ينتزعوا من الاقلية الكبرى وهى عنصر الاقباط اقرارا بقبول حماية الانجليز لهم فأبوا كل الاباء وقالوا جميعا بقلب واحد وشعور وطنى واحد (نفنى نحن وتحيا مصر إذا كانت حياتها واستقلالها لاتقومان الا بذلك، فأن الخلود لمصر) وقد فعلت السياسة الاستعمارية ماشاءت لأيغار صدور عنصر الاقباط وتأليبهم ولكن ذهبت المساعى ادراج الرياح ازاء سمو المبادىء

الوطنية وقدس الوحدة القومية . وبذلك اعتزت الوطنية المصرية وقضيتها .

أما السودان فقد حرصت السياسة البريطانية على تسوى مركز مصر فيه فاسرعت سياسة التعسف فى حرمان المصريين من ادارة السودان ومن استثمار مرافقه الاقتصادية ومن الهجرة اليه وتملك الاراضى فيه ، كما حرصت على حمل الحكومات المصرية على انفاق الاموال الطائلة لخدمة رى اراضى السودان ومصالح الشركات الانجليزية هناك على حساب مصر .

اما الحياة النيابية فقد نجحت أعظم النجاح ولكنها لم تطل اذ عكرت صفوها مأساة السردار التى استغلها الانجليز بفضل تحفظات تصريح فبراير ، فتجدد الضغط البريطانى على مصر وطال الشد والجذب والتراضى والتغاضى عدة سنوات حتى تغلبت الحكمة أخيرا وتلاقى الفريقان وتصافى الخصمان العظيمان .

سعد ونظام الحكومة البرلمانية

دستور سنة ١٩٢٣

اعلن الدستور فى ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ ثم جرت الانتخابات ذات الدرجتين للنواب والشيوخ ، وفى ٢٨ يناير ١٩٢٤ دعا جلالة الملك زعيم الاغلبية لارتقاء دست الوزارة ، وصدر بذلك الامر الملكي الى حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا بتشكيل الوزارة البرلمانية . وقد لبى الدعوة السامية بخطاب تاريخى يعد من ابرع الوثائق السياسية فى تاريخ النهضة المصرية ونحن نبرز مقدمة ذلك الخطاب لعظم دلالتها في التوفيق بين مختلف المسئوليات : قال رحمه الله :—

« مولاى صاحب الجلالة

ان الرعاية السامية التى قابلت بها جلالتكم ثقة الامة ونوابها بشخصى الضعيف توجب علىّ والبلاد داخلة فى نظام نيابى يقضى باحترام ارادتها ، وارتكاز حكومتها على ثقة وكلائها ألا انتحى عن مسئولية الحكم التى طالما تهيبتها فى ظروف أخرى وأن أشكل الوزارة التى شاءت ادارة جلالتكم تكليفى بتشكيلها

من غير أن يشير قبولى لتحمل اعبائها اعترافا بأية حالة أو حتى استنكره الوفد المصرى الذى لا ازال متشرفاً برآسته » الخ . الى أن قال :—

« ولقد لبثت الامة زمانا طويلا وهى تنظر الى الحكومة نظر الطير للصائد لا الجيش للقائد ، وترى فيها خصما قديراً يدبر الكيد لها ، لا وكيلا أمينا يسعى لخيرها ، وتولد عن هذا الشعور سوء تفاهم أثر تأثيرا سيئا فى إدارة البلاد واعاق كثيراً من تقدمها » ثم قال « ويلزم أن تبث الحكومة الروح الدستورية فى جميع المصالح وتعود الكل على احترام الدستور والخضوع لأحكامه ، وذلك انما يكون بالقدوة الحسنة وعدم السماح لاى كان بالاستخفاف بها والاخلال بما تقتضيه »

اول برلمان عصرى

وفى ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ افتتح جلالة الملك البرلمان المصرى بخطبة العرش وتولى تلاوتها عن جلالته كبير وزرائه المرحوم سعد باشا وقد استهلت الخطبة بالتحية العليا التالية :—

« حضرات الشيوخ ، حضرات النواب :

اهديكم اطيب سلامى ، وأحيى فيكم ممثلى شعبى الكريم ، واهنيكم منتخبين ومعينين ، بالثقة العظمى التى حزتموها لتؤلفوا اول برلمان مصرى تأسس على المبادىء العصرية ، واحمد الله ان تحققت بتأسيسه امنية من أعز أمانى وأول رغبة من رغبات أمتى الشريفة » .

وقد دل الاختبار على نجاح الحكم النيابى ونجاح سياسة الحكومة الدستورية فى انهاض البلاد وتوطيد الامن وبث العدل فى جميع المصالح كما ارتفع صيت مصر فى الخارج وأخذت تسرع الى ادراك كامل السيادة والاستقلال . ودعت حكومة العمال برآسة مستر رامساى مكدونالد الحكومة المصرية لتسوية المشاكل المعلقة ولكن زعزعة مركز الوزارة البريطانية أفضى الى احباط المفاوضات . وشاع بمصر سوء الظن بالانجليز

انتقاض الانجليز على الدستور
حتى يرجعون مصر للوراء

ولا شك أن شيئا من الاناة ومضى الوقت كانا حريين بتبديد جو الشكوك واستئناف سياسة التفاهم والاتفاق بين مصر وبريطانيا ، ولكن نزوة هو جاء زينت لبعض أفراد أن يقطعوا فترة السلام وأن يعكروا جو العلاقات بين الحكومتين بل والامتين ، حيث اجترأوا على اغتيال حاكم السودان العام وسردار الجيش المصرى سيرلى ستاك باشا فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، وبهذا الحادث الخطير والخطب الجلل رجع عقرب الساعة الى الوراء فى مصر وتغير مجرى تاريخ النهضة المصرية .

وظل صدى هذا الحادث ونتائجه المشئومة يسيطران على مصالح مصر العليا ويؤثران فيها أسوأ تأثير الى ان تلاقت العاطفة مع العقل فاتجهت بريطانيا أخيرا اتجاها عملياً الى محالفة مصر محالفة الند من الند . وذلك بفضل ثبات الوفد المصرى وحكمته والتأييد الوطنى العام لسياسته ومبادئه .

واخيراً فاز الوفد الرسمى بازالة كثير من الآثار السيئة التى تركها التحفظ الخاص بالسودان فى تصريح فبراير المذكور .

ولكى تفهم جيدا قيمة الخطوة العملية التى خطاها الوفد الرسمى حيال مسألة السودان نرى واجبا ان نلخص الاطوار التى مرت بالسودان المصرى من عهد افتتاح مصر له الى الان .

مصر فى السودان
السودان قديما وحديثا

نشطت مصر من عهد اسلافنا قدماء المصريين الى البحث عن منابع النيل ،

ابتغاء السيطرة عليها والمحافظة على استدامة جريان المياه مصدر الحياة . واوفدوا لذلك البعوث المتوالية لاخضاع النوبة وارتياد مجاهل السودان والتوغل فى صميم الحبشة ، وجلبوا من خيراتها وزينوا المعابد برموزها ومعادنها النفيسة .

ولما آل ملك مصر الى الفاتح الالمعى والمصلح العبقرى محمد على فتح السودان بقوة الجيش المصرى المظفر واسس عاصمته الخرطوم فى عام ١٨٢٦ وظلت تبعية السودان لمصر من ذلك الفتح الى الان .

واذا كانت مصر قد استفادت من القطر السودانى شيئا فهو تبادل التجاره ، ولكن انقضت عشرة ومائة عام على فتح السودان وهو مصدر انفاق لا مصدر ايراد لمصر ، وقد كتب لورد كرومر فى تقريره عن سنة ١٨٩٩ يقول : —

هوة تبتلع الملايين

« ان السودان كان على الدوام كالهوة تبتلع الملايين من الاموال فتذوب تلكم الملايين التى تلقى فيه كما يذوب الثلج تحت عين الشمس فى الصحراء ، واليه يعزى افلاس الخزانة المصرية . ولقد انفقت عليه انجلتره مبالغ كبيرة كانت تأمل استعادتها عند تصفية الحساب ، ولم يغرب عن البال أن الحكومة البريطانية عند ما وجهت الى السودان حملة ولسلى لانقاذ جوردون فى سنة ١٨٨٤ من فتنة المهدى ، فتحت بريطانيا لتلك الحملة اعتمادا قدره ثلثمائة الف جنيه ولكن هذا الاعتماد وصل عند التنفيذ الى ١١ مليون جنيه . كذلك حملة ١٨٩٦-١٨٩٩ (حملة الحكومة المصرية لاسترجاع السودان بقيادة سردار الجيش المصرى كتشنر) فأن مصر تحملت نفقاتها الا مبلغ ٧٩٨٨٠٢ جنيها فقد تنازلت انجلتره عنه لاعتباره انفق على الخط الحديدى باعتباره فرعا من سكة مدينة الكاب الى القاهرة) ولكن مصر قد جعلت ميزانيتها كلها وكل ماتملكه من المعدات وقفا على الحملة ، وباعت البواخر الخديوية والحياض والقصور الأميرية والحدائق والاراضى وكل ما أمكنها بيعه لانفاقه على حملة استرجاع السودان كما زادت الضرائب واغترفت من احتياطى صندوق الدين لهذه الحملة

اصلاح السودان والادارة الثنائية

سياسة ضبط النيل

الانجليز شعب مولع بالعمران واينما وضعوا قدمهم يعمرون الأراضي لانتاج المواد الأولية (الخامات) خدمة لمصانع بلادهم ، ولتموين سكان الجزر البريطانية ولهذا عنى الأنجليز بتنظيم الرى والصرف في السودان و بضبط الماء ، في الوقت الذى كان يعمل فيه مهندسوهم فى نظارة الاشغال المصرية لتنظيم الرى والصرف داخل القطر المصرى ، وفي اوائل القرن العشرين ارسلت الى السودان والحبشة بعثة هندسية برآسة سير وليام جارستين لتنظيم الرى والتخزين والصرف فأتمت اللجنة مهمتها ووضعت تقريراً اطلع عليه لورد كرومر ورفع الى الحكومة البريطانية فوافق عليه البرلمان البريطانى فى سنة ١٩٠٥ واعتبر دستوراً لسياسة الأنجليز المائية فى مصر ، ومما جاء فى هذا التقرير عن تلك السياسة :—

على مصر مراعاة السودان

« إذا كان الغرض تخزين مياه لسد جميع احتياجات مصر المائية فأنه يوجد داخل حدود القطر المصرى مواقع تصلح لأقامة خزانات وتكفى لتخزين مايفى بهذا الغرض ؛ وبما أن السودان فقير الميزانية ويحتاج للتعمير وبه أراض صالحة للزراعة على ضفاف النيل فيجب عند التفكير فى اعمال الرى الكبرى أن يراعى صالح السودان أيضا »

وتلقاء هذا المبدأ نشطت السياسة البريطانية الى وضع مشروعات لاقامة عدة خزانات على النيل وفروعه تقع جميعا خارج القطر المصرى واول المنتفعين بها السودان كما ارادت اقامة خزان سنار على حساب مصر لولا احتجاج الامة المصرية

فى سنة ١٩٢٠ ، كما أقيم خزان جبل الاولياء على حساب مصر قبل الاوان رغم تعلية خزان أسوان ، ورغم عدم اتمام مشروعات الصرف فى مصر ، ولقد عارض الانجليز اشد معارضة فى تعلية خزان أسوان ولكن فازت عزيمة مهندس مصر العظيم الوطنى المقدام عثمان محرم باشا الذى انتهز عهد الوزارة الوطنية ونفذ مشروع التعلية الاخيرة بنجاح عظيم .

وليس غرضنا مجرد سرد تاريخ سياسة الانجليز المائية وانما غرضنا أن نقول بأن الوزارات الوطنية وحدها تستطيع المحافظة على صميم مصالح مصر والعمل على تمصير المرافق والمشروعات ومراعات مصلحة مصر اولا وقبل كل اعتبار . وهـذا هو ماظفرت به المعاهدة لمصر فى السودان بعد طول الحرمان .

اخلاء بعض مديريات السودان

فى سنة ١٨٨١ نشبت فى وادى النيل ثورتان قبل ان اصبح السياسة الانجليزية لم يخل منهما ، نشبت فى مصر الثورة العرابية تطالب باصلاحات وطنية دستورية وعسكرية وادارية ، وقيل ان القنصل الانجليزى آو عزصدر سمو الخديوى على دعاة الاصلاح ، وانتهت تلك الثورة بالاحتلال البريطانى فى سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

كما نشبت فى السودان ثورة محمد احمد المهدى انتقاضا على السلطة المصرية فى السودان ولم يعن الانجليز بالقضاء على تلك الثورة قدر عنايتهم بحمل الحكومة المصرية على اخلاء المديريات الثائرة فتم الجلاء عنها فى سنه ١٨٨٥ وظلت مع ذلك عدة مديريات لم تثر ولم تخرج على الحكومة المصرية قط .

اتباع السودان لنظارة الحربية

ومن اهم الاحداث فى تاريخ السودان الحاقه بنظارة الحربية المصرية بأمر عال صدر فى ١٥ يناير سنة ١٨٨٤ وقد ظل تابعا لها حتى أعيد فتحه وبالتالى حتى اعادة اخضاع المديريات الثائرة على يد حملة سنة ١٨٩٦ — ١٨٩٩ بقيادة سردار الجيش المصرى

كتشنر باشا .

وواضح ان الحاق السودان بنظارة الحربية سهل اسناد القيادة العامة للجيش المصرى الى حاكم السودان (السردار) . وقد دل الاختبار على أن مزج المركزين فى شخص واحد وان نجح فى وقف نمو الجيش المصرى فقد أوغر صدور المصريين واثار استياء عاما ضد سياسة الانجليز ، ولحسن الحظ ان التفاهم الاخير على هدى المعاهدة قد حفظ لمصر حقوقها وكرامتها من هذه النواحى وتدارك النقص الذى كان سائدا ومكن مصر لأول مرة من ممارسة حقوقها بحرية .

مصر وحكومة السودان

منذ اتمام اخضاع السودان فى ١٨٩٩ والحكومة القائمة فى السودان نيابة عن مصر وبريطانيا تعمل على توطيد الامن والاصلاح الصحى والاقتصادى فى البلاد بفضل الجيش المصرى والاعانة التى تؤخذ من الحكومة المصرية والاموال الطائلة التى انفقتها مصر على اعمال الرى فى السودان ، وبفضل المؤسسات العمرانية التى انشأتها الخزانة المصرية هناك من سكك حديدية وطرق وثغور بحرية ونهرية وكبار وعمارات وثكنات ومبان مختلفة اقامها المصريون طوال عهدهم فيه من عام ١٨٢٦ والى الآن .

ومع ذلك فأن نظام الحكم فى السودان طبق منذ البداية بطريقة حرمت المصريين من المراكز الرئيسية بينما جميع الرؤساء انجليز ومن ذلك أن الهيئة العليا للحكومة وهى مجلس الحاكم ليس فيه وطنى مصرى واحد من عهد قيامه فى سنة ١٩١٠ الى الآن ، ولمعرفة نظام الحكم فى السودان نأتى هنا على نص قانون مجلس الحاكم لنعلم عند تطبيق المعاهدة ما على الحكومة المصرية من أعباء لتمكين المصريين من الاشراف على إدارة السودان بعد طول الحرمان .

مجلس حاكم السودان

فى سنة ١٩١٠ اتفقت الحكومتان المصرية والبريطانية على وضع قانون ينظم إدارة حكومةالسودان العليا التى يتولاها الحاكم العام باسم الحكومتين ، وأن يصبح للحاكم مجلس يرؤسه مع الاحتفاظ بسلطته المطلقه . وجاء فى ديباجة القانون مانصه. (حيث انه بمصادقة الحكومتين الانجليزية والمصرية قد استصوب ايجاد مجلس يشترك مع الحاكم العام فى إجراء ماله من السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، فقد صدر الأمر بما هو آت :—

نص قانون مجلس الحاكم

١ — يسمى هذا القانون : قانون مجلس الحاكم العام سنة ١٩١٠

٢ — ينشأ مجلس يعرف بمجلس الحاكم العام يؤلف من أعضاء قانونيين هم : — المفتش العام والسكرتير المالى والسكرتير القضائى والسكرتير الملكى ، ومن اعضاء اضافيين لا ينقص عددهم عن اثنين ولا يزيد على اربعة يعينهم الحاكم العام.

يكون تعيين الاعضاء الاضافيين لمدة ثلاث سنوات وتجوز اعادة تعيينهم ، واذاغاب احد الاعضاء القانونيين بالاجازة أو تعذر عليه الحضور للمرض ناب عنه فى المجلس الموظف الذى يقوم مقامه فى وظيفته بحكم القانون أو من طريق التناوب .

واذا غاب أحد الاعضاء الاضافيين أو تعذر عليه الحضور كذلك فللحاكم العام أن يعين بدله مؤقتا .

٣ — يرأس الحاكم العام جلسات المجلس وفى حالة غيابه تكون الرئاسة لأقدم عضو بين الحاضرين مع مراعاة أحكام المادة ١٣

٤ — للمجلس جميع السلطة المخولة بمقتضى هذا القانون في نظر كافة المواد التى يجب اجراؤها بمعرفة الحاكم العام فى المجلس بناء نصوص هذا القانون او اى

قانون اخر اما غير ذلك من المواد الاخرى التى قد تعرض عليه فانه ينظر فيها بصفة مجلس استشارى للحاكم العام

٥ — جميع القوانين واللوائح التى للحاكم العام اصدارها بمقتضى المادة الرابعة من وفاق ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ يصير اصدارها بمعرفة الحاكم العام فى مجلسه ولا يسرى هذا النص على ما للحاكم العام وحده اصداره من اللوائح بمقتضى السلطة الممنوحة له بنص معمول به

٦ — يقرر الحاكم العام فى مجلسه الميزانية السنوية ويمنح جميع الاعتمادات الاضافية سواء كانت من الاحتياطى او من الايرادات العادية

٧ — يجرى الحاكم العام فى مجلسه جميع المواد التى يجب اجراؤها فيه بمقتضى أى قانون معمول به او على القواعد التى يقررها الحاكم العام فى مجلسه

٨ — تتقرر المسائل التى يجريها الحاكم العام فى مجلسه بأغلبية أصوات الاعضاء الحاضرين مع مراعاة ماهو مدون فى المادتين ٩ و ١٠ فاذا تساوت الاصوات كان الترجيح لجانب الرئيس وتدون قرارات المجلس فى سجل محاضره مع بيان رأى كل عضو على انفراده ، ولكل عضو خالف الاغلبية ان يطلب اثبات اسباب مخالفته فى المحضر

٩ — للحاكم العام سواء حضر الجلسة او لم يحضرها ان يخالف ما أقرته الاغلبية وتدون فى محاضر المجلس ويعتبر قراره هذا فى هذه الحالة من جميع الوجوه كأنه قرار المجلس

١٠ — للحاكم العام سواء حضر الجلسة او لم يحضرها ان يوقف تنفيذ اى قرار من قرارات المجلس حتى يرفعه الى السلطة المنصوص عنها فى الفقرة الثانية من المادة الرابعة من وفاق ١٩ يناير ١٨٩٩

١١ — للحاكم العام فى مجلسه ان يسن قواعد لاتخالف هذا القانون تختص بضبط اعمال المجلس وبيان محل اجتماعاته وتعيين موظفيه وتقرير واجباتهم .

١٢ — اذا غاب الحاكم العام بالاجازه او تعذر عليه القيام باداء وظيفته لمرض

وكذلك اذا خلت وظيفته تنتقل سلطته كلها الى مجلس الحاكم العام اذا لم يكن هو قد عين نائبا عنه فى وظيفته .

١٣ — للحاكم العام كلما كان بعيدا عن مجلسه ان يعين موظفا ينوب عنه فى رياسته وفى ماله من السلطة كلها أو بعضها المتعلقة بالمجلس بمقتضى المواد السابقة .

١٤ — للحاكم العام كلما كان بعيدا عن مجلسه ان يباشر وحده ما للحاكم العام فى مجلسه من السلطة كلها أو بعضها اذا اجيز ذلك بقرار من المجلس .

١٥ — لا يجوز تفسير اى نص من نصوص هذا القانون بما يفيد تخويل الحاكم فى مجلسه سلطة لو كانت له وحده لجاءت مخالفة لنصوص اتفاق ١٩ يناير ١٨٩٩ او لأى اتفاق معقود حتى الآن بين حكومتى مصر والسودان » .

تعديل تشكيل المجلس

ثم صدر بعد ذلك قانون آخر يقضى بأن يكون مجلس حاكم السودان العام مؤلفا من أصحاب الجناب : الاعضاء القانونيين وهم : — « السكرتير المالى والسكرتير القضائى والسكرتير الملكى» وللحاكم العام ان يعين اعضاء اضافيين لا يقلون عن اثنين ولا يزيدون على خمسة اعضاء

وليس فى مجلس الحاكم لغاية الآن عضو مصرى واحد لا قانونى ولا اضافى .

ولم يستطع المعارضون للمعاهدة الجديدة ان يقولوا بأنه وجد فى مصر من استطاع ان يعمل عملا ايجابيا لادخال العنصر المصرى فى مجلس الحاكم العام أو يمكن مصر من تعيين مصريين فى الوظائف الرئيسية بحكومة السودان ، الى ان قيض الله للأمة المصرية على يدى الوفد المصرى فتح الباب لمصر والمصريين فى السودان بفضل المعاهدة الجديدة .

السودان حياة مصر

منابع النيل مصدر الحياة

تتلخص رابطة مصر التاريخية بالسودان فى الكلمة التالية . —

« انما السودان هو الحياة بذاتها لمصر لأنه منبع النيل . ومصر هى التى فتحت السودان فى الأصل ولم تضن فى هـذا السبيل بأية تضحية فى الرجال وفى المال . وهذا الفتح بدأ على عهـد محمد على وتم على عهـد اسمعيل الذى ضم مناطق البحيرات الـكبرى حتى منابع النيل وبحر الغزال وخط الاستواء ثم سواحل البحر الأحمر حتى رأس غردفوى . وجعل الاوغندة تحت حماية مصر . ونال من الباب العـالى ادارة سواكن وزيلع وملحقاتها واتخذ لنفسه لقب خـــديو مصر وصاحب نوبيا ودارفور وكـردوفان وسنار . وقد اعترفت الفرمانات السلطانية التركية لمصر بامتلاك هـــذه الأقاليم السودانية ، واعترفت الدول بهذه الفرمانات ذاتهـا » .

ولـكن حرمان مصر من نعمة الاستقلال حرمها من اجتناء ثمرة تضحياتهـا العظيمة فى السودان بل حرمها من نعمة المحافظة على ذلك الملك الواسع ؛ أما الـدول المستقلة فأنها تنمو وتحافظ على كيـانها بفضل الجيش والعلم والصناعة ، وهى حجر الزاوية الذى اهمله البناؤون فى مصر . فلم تقو مصر على صيانة امبراطوريتها المترامية الاطراف ، لتأخر الشعب المصرى عن مسايرة الحضارة الحديثة وليس الذنب على الشعب المصرى وحده وانما الذنب على حسد دول اوربا لمصر وضغطها المتوالى على النهضة المصرية . وهاهى بريطانيا نفسها تصيدت فى الماضى كل الفرص لابعاد مصر عن السودان كما حرمت عليها زيادة الجيش والجندية العامة .

نتائج اغتيال المرحوم
السردار حاكم السودان العام

اجمعت الامة المصرية حكومة وشعبا على استنكار مصرع السيرلى ستاك باشا الحاكم العام للسودان وسردار الجيش المصرى ، وعدت البلاد عمل الجناة شؤما ورمية وجهت الى صدر الوطن وعرضته لنقمة الاقوياء المحتلين ، ومع ذلك فان الجناة لم يفلتوا من أيدى ادارة الامن العام ولا من سيف القضاء المصرى بعد ان البسوا أمتهم ثوب الحداد وارجعوا مصر الى الوراء وعرضوا السودان للضياع :

كان التحفظ الوارد فى تصريح فبراير سنة ١٩٢٢ عن السودان لم يزل سيفا مسلولا على الرقاب ، فلم يكد يصب حاكم السودان فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ بالقاهرة ويقضى نحبه فى منتصف ليل ٢٠ نوفمبر ، لم يكد يتم قضاء الله فيه حتى سارع الانجليز بالقاء التبعة على مصر حكومة وشعبا وهما البريئان كل البراءة من دم السردار ، واشتدت السلطة الانجليزية فى نقمتها بان قضت بأبعاد المصريين وجيشهم من السودان .

وبعد أن شيع جثمان الفقيد باحتفال رسمى تقدمه نائب صاحب الجلالة المصرية والمرحوم سعد باشا رئيس الحكومة وكبار رجال الدولة ، بعد ذلك تقدم المندوب السامى الفيلد مارشال اللنبى باسم حكومته بالانذار التالى،ونحن نورده بنصه لخطورة نتائجه التى عصفت بالبرلمان المصرى وبالسودان المصرى وبالحكومة الوطنية كما آذت خزانة الدولة بغرامة فادحة .

بلاغ خطير
من المارشال اللنبي الى الحكومة المصرية

فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ انتقل المندوب السامى البريطانى المارشال اللنبي الى

البرلمان المصرى على رأس نحو ستمائة فارس انجليزى وقدم الى دولة رئيس الحكومة المصرية المغفور له سعد زغلول باشا بلاغا نهائيا بالعقوبات التى قررتها الحكومة البريطانية على مصر بمناسبة مصرع السردار بالقاهرة . وفيما يلى نص العقوبات :—

نص العقوبات الرهيبة

١ — أن تقدم الحكومة المصرية اعتذاراً كافيا وافيا عن الجناية

٢ — ان تتابع بأعظم نشاط وبدون مراعاة للاشخاص البحث عن الجناة وان تنزل بالمجرمين ايا كانوا ومهما تكن سنهم اشد العقوبات

٣ — ان يمتنع من الآن فصاعدا وتقمع بشدة كل مظاهرة شعبية سياسية

٤ — ان تدفع الحكومة المصرية فى الحال الى حكومة بريطانيا العظمى غرامة قدرها نصف مليون جنيه

٥ — ان تصدر فى خلال ٢٤ ساعه الاوامر بأرجاع جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصرى البحته من السودان مع ماينشأ عن ذلك من التعديلات التى ستعين فيما بعد

٦ — ان تبلغ المصلحة المختصه ان حكومة السودان ستزيد مساحة الاطيان التى تزرع فى الجزيرة من ٣٠٠٠٠٠ فدان الى مقدار غير محدد تبعا لما تقتضيه الحاجة

٧ — ان تعدل عن كل معارضة لرغبات حكومة بريطانيا العظمى في الشؤون المبينة بعد المتعلقه بحماية المصالح الاجنبية فى مصر

واذا لم تلب هذه المطالب فى الحال تتخذ حكومة بريطانيا العظمي

على الفور التدابير المناسبة لصيانة مصالحها فى مصر والسودان
وانى اغتنم هذه الفرصه لاجدد لدولتكم عظيم احترامى ؟
الامضاء : اللنبى فيلد مارشال

مذكره ثانيه

واما انا فى شدة النقمة بعث المارشال اللنبى فى ذلك التاريخ بمذكرة ثانية الى الحكومة المصرية ، نصها كما يلى : —

« ان مطالب الانجليز الخاصة بالجيش فى السودان وحماية مصالح الاجانب فى مصر هى الآتيه : —

١ — بعد ان يسحب الضباط المصريون والوحدات المصرية البحتة للجيش المصرى تحول الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى الى قوة مسلحة سودانية خاضعة وموالية للحكومة السودانية وحدها وتحت قيادة الحاكم العام العليا وباسمه تصدر العرائض والبراءات للضباط

٢ — ان القواعد والشروط الخاصة بخدمة الموظفين الاجانب الذين لايزالون فى خدمة الحكومة المصرية وتأديبهم واعتزالهم الخدمة وكذلك الشروط المالية لتسوية معاشات الموظفين الاجانب الذين اعتزلوا الخدمة يجب ان يعاد النظر فيها طبقا لرغبات حكومة بريطانيا العظمى

٣— من الان الى ان يتم اتفاق بين الحكومتين بشأن حماية المصالح الاجنبية فى مصر تبقى الحكومة المصرية منصبى المستشار المالى والمستشار القضائى وتحترم سلطتهما وامتيازاتهما كما نص عليها عند الغاء الحماية وتحترم ايضا نظام القسم الاوروبى فى وزارة الداخلية واختصاصاته الحالية كما سبق تحديدها بقرار وزارى وتنظر بعين الاعتبار الوافى

الى ما قد يبديه مديره العام من المشورة فيما يتعلق بالشؤون الداخلة فى اختصاصاته

الامضاء اللنبي (فليد مارشال)
المندوب السامى

اجابة سعد باشا

وقد واجه المغفور له سعد باشا ذلك التحدى المسلح بمنتهى الحكمة ورباطة الجأش وسمو الوطنية، فاجاب على البلاغ بخطاب اعرب فيه عن تألم الحكومة والامة واسفهما العميق لهذا الحادث الجنائى الذى هو من فعل افراد تتبرأ مصر كلها منهم، وانها ستتعقب الجناة ، ووافق دولته على مطالب الغرامة أما مطالب اخلاء السودان من القوات الوطنية المصرية فقد رفضه سعد باشا بكل إباء وشجاعة .

عندئذ سارع الانجليز الى احتلال الجمارك المصرية والى صب جام غضبهم على المرافق المصرية ، وكان على رئيس الحكومة فى هذه الحالة اما ان يعلن حرباً على الانجليز مع عدم التكافؤ بين القوتين فيعرض الشعب المصرى الاعزل للفناء ، وإما أن يستقيل ويضع الانجليز في مسئولية امام ضمير العالم ، بينما يعود الزعيم الى الشعب ليجدد أهبته للمستقبل ، وقد أخذ سعد باشا بالاتجاه الاخير فاستقال من الوزارة ، وعندئذ تولت الحكم وزارة دولة احمد زيور باشا .

اخلاء السودان

فى عهد الوزارة الزيوريه

موقف الجيش بالسودان

تنفيذا للبلاغ البريطانى تولى هدلستون باشا نائب السردار مهمة تنفيذ النص

الخاص بأخلاء السودان من القوات الوطنية المصرية المعسكرة فى السودان .

ويستفاد من المذكرات الهامة التى خلفها المرحوم الأميرالاى احمد رفعت بك ، وعنى بنشرها حضرة صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون ، يستفاد منها أن القوات المصرية لم تكد تعلم ببلاغ الحكومة البريطانية بأخلاء السودان حتى سرى فيها من العامل الى الجندى الى الضابط شعور واحد بالدفاع عن السودان حتى الرمق الاخير ؛ وذلك رغم قلة ذخيرتهم وتوالى اهانتهم ورغم الحصار العسكرى الذى اتخذته بدورها حكومة السودان ، ثم ان نائب السردار بعث الى قائمقام الطوبجية احمد رفعت بك بالأمر الآتى : —

أمر الى قائمقام الطوبجية

« الى القائمقام احمد رفعت بك

كان من نتيجة قتل المرحوم صاحب المعالى السردار والحاكم العام فى القاهرة أن قدم صاحب الفخامة المندوب السامى للحكومة المصرية عدة مطالب من ضمنها اخراج الاورط المصرية من السودان حالا .

وبما أن الحكومة المصرية لم توافق على مطالب صاحب الفخامة المندوب السامى فى مدى الأربع والعشرين ساعة المصرح بها فى مذكرة فخامته فقد أمر فخامته صاحب السعادة نائب الحاكم العام بالقيام بأخراج الاورط المصرية والضباط المصريين من السودان . وبصفتى نائب السردار فقد عهد الى بتنفيذ هذه الاوامر وبما ان الحكومة المصرية لم تسلم باخلاء السودان فقد وجب على أن اتخذ جميع الاحتياطات العسكرية ومن ضمن هذه الحالة ايجاد الجنود الانجليزية ووضع جميع القشلاقات فى معزل

تركب الجنود المصرية فى القطار بالسلاح والبيارق ولكن بدون جبخانة (رصاص) »

٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الامضاء . هداستون نائب السردار

مواجهة الموقف

مجلس حربى مصرى

اظهر معظم ضباط الجيش المصرى رباطة جأش وواجه رفعت بك ذلك الامر العسكرى الخطير بأن دعا الضباط المصريين الى مجلس حربى خاص عقد فى ثكنة الاورطة الثالثة البيادة بمدينة الخرطوم البحرية فى صباح الثلاثاء ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وبعد التشاور والتداول أصدروا القرار التالى :—

نص القرار

« إنه لمناسبة البلاغ الذى طلب فيه مندوب جلالة ملك بريطانيا من حكومتنا المصرية اخلاء السودان من الجنود المصرية وبما ان حكومتنا الموقرة رفضت هذا الطلب وترتب على رفضها ان اصدر الجنرال اللنبى امره الى اللواء هدلستون باشا بطردنا من هنا

ولما كان هذا الجيش هو جيش صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر والسودان ولما كان السودان قطعة من وادى النيل واقسمنا اليمين لجلالة مليكنا ان ندافع عنه وان لا نتخلى عن شبر ارض منه ، قررنا نحن رئيس واعضاء المجلس الحربى المذكور ان نثبت الى النهاية حتى نسلم ارواحنا فى اماكننا ويدعونا مليكنا .

وطبقا للانظمة العسكرية قررنا ان نوحد قيادة القوات المجتمعة بخرطوم بحرى ونعهد بقيادتها الى حضرة صاحب العزة القائمقام احمد رفعت بك من الطوبجية حيث ان اللواء محمد امين باشا اقدم ضابط مصرى فى السودان تخلى عنا فى هذا الوقت العصيب هذا قرار منا بذلك .

قائمقام احمد رفعت

ويليه امضاءات حضرات الضباط برتبهم واسلحتهم المختلفة

رفع الامر

الى صاحب الجلالة المصريه

ثم بادر رفعت بك برفع الامر تلغرافيا الى جلالة الملك فؤاد ، ويقول فى مذكراته « انه عنون التلغراف باسم جلالة الملك لما اشيع أن لا حكومة فى مصر نظرا لاستقالة الوزارة وان الاساطيل والجنود الانجليزية تحاصر بلادنا والموانى ، سيما ولم يصلنا أى أمر رسمى من حكومتنا .)

نص التلغراف

" جلالة الملك فؤاد بمصر

صدر لنا امر قهرى فجائى من نائب حاكم عام السودان بواسطة نائب السردار بترك السودان حالا وحوصرنا بالجيوش الانكليزية من جميع الجهات وذخيرتنا عشرون طلقة لكل بندقية وقليل جدا للمدافع وهى لا تكفي لاى دفاع ضد قوات كبيرة مسلحة مهاجمة خانة لاتحصى ومخازن الجبة خانة المصرية تحت سلطتهم منذ احتلال السودان والضباط والصف ضباط والعساكر مصممون على عدم ترك السودان بدون امر جلالتكم يرسل لهم مع مندوب مصرى او يموتون دفاعا عن آخرهم فى قشلاقاتهم " ؟

الامضاء
القائمقام احمد رفعت
بالطوبجية

أمر وزير الحربية المصرية بأخلاء السودان

وبعد ارسال ذلك التلغراف الى مصر بايام تلقت القوات الوطنية المصرية فى السودان رسالة من وزير الحربية اللواء محمد صادق يحي باشا عضو وزارة دولة احمد زيور باشا التى اعقبت وزارة المرحوم سعد باشا ، وقد حمل الرسالة ضابط مصرى على متن طيارة ، ونورد هنا نص تلك الرسالة التى تضمنت الامر بأخلاء السودان

نص رسالة الاخلاء

وزارة الحربية .

مكتب الوزير

حضرات الضباط وضباط الصف والجنود بالجيش المصرى بالسودان

عهدنا فيكم الشجاعة والولاء ولا يداخلنا اى شك فى انكم مستعدون جميعا لاراقة آخر نقطة من دمائكم فى خدمة جلالة الملك وفى سبيل الوطن على اننا نأمركم بان تكفوا عن مقاومة الاجراءات التى اتخذها نائب حاكم السودان العام لاخراجكم بالقوة من الاراضى السودانية

فانه ليس من وراء هذه المقاومة سوى سفك الدماء بغير جدوى وبما ان الحكومة المصرية قد احتجت صريحا على هـذا العمل الذى نفذ بالقوة القاهرة فعودتكم لايترتب عليها اى مساس لا بحقوق الوطن ولا بشرفكم العسكرى .

ياحضرات الضباط ان الحكومة المصرية لن تنسى لكم قيامكم بواجبكم فى خدمة جلالة الملك وفى سبيل البلاد ذلك الواجب الذى اديتموه بالصدق والاخلاص فترى الحكومة حقا عليها ان تظهر عطفها عليكم وان تبلغكم انها مهتمة بامركم لتكونوا امنين على حاضركم مطمئنين على مستقبلكم ؟

وزير الحربية والبحرية

٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ — محمد صادق يحي

الحرمان اثنى عشر عاما

وتنفيذا للامر فارقت القوات الوطنية المصرية السودان على قطارات خاصة سريعة من ٢٨ نوفمبر حتى تم الاخلاء العسكرى للسودان في ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٤ واستقل رفعت بك آخر قطار مع قوة الطبجية بالخرطوم وعاد الجيش الى مصر وقلبها كسير وفى النفس مرارة وفى الصدور حسرة ، وقد أظهر شعب السودان اسمى واجمل العواطف نحو مصر واعقب ذلك بقليل تسريح تلك القوات المصرية وانقاص الجيش المصرى ، وتوالى اضطهاد مصر بمختلف الوسائل ، وسنرى أن الشعب المصرى لم يفقد ايمانه وأن الزعامة المصرية صمدت للحوادث وان الوفد المصرى واجه الكارثة بالحكمة والحزم وتحمل أهوال التجارب من بعد ذلك اثنى عشرة سنة ، ومازال الوفد يعالج الموقف بالحنكة والروية وعلو الهمة حتى ظفر أخيرا بالصلح الشريف والمعاهدة الكفيلة بالعودة الى السودان .

* * *

نجاح سياسة التفاهم

بريطانيا تمد يدها لمصر

أخيرا رأينا بريطانيا تطرح نيرها عن مصر ، وتقنع بأنهاء الاحتلال مقابل تحالف دفاعى مع مصر بحيث تمكن مصر من الوقوف على قدميها عسكريا مزودة بالسلاح وانما شرطت بريطانيا للجلاء أن لا تتوانى مصر فى اصلاح طرقها التى هى جزء من برنامج مصر نفسها ، ورأت أن تبقى قوة انجليزية صغيره مؤقته لمساعدة مصر على حماية قناة السويس ، وان تقيم فى ثكنات تبنيها مصر وتساهم فى تكاليفها بريطانيا وان تقتصر تلك الاقامة المؤقتة على منطقة قناة السويس ، ورأت مصر أن لا ترد الدعوة السلمية فأقبلت تبرهن على حسن نيتها ، وعالج الوفد المصرى بنجاح تحرير الدولة من قيود السيادة ، كما عالج اعادة فتح باب السودان لمصر والمصريين ، وقد رأينا جو التفاهم يسحق سخائم الماضى ، ورأينا نية الاتفاق تقهر دواعى الشقاق . نعم ان

الانجليز غالوا فى ايثار أنفسهم على غيرهم من الدول فى كثير من شؤوننا ، ولكن بقى الجوهر سليما ، جوهر الاستقلال . ونجحت سياسة التفاهم اعظم نجاح

فى طريق عصبة الامم

وسيحتكم الى عصبة الامم فى كل خلاف ينشأ عند تطبيق أحكام المعاهدة أو تفسيرها . وبمجرد التصديق على المعاهدة ، تمضى الحكومة المصرية لتتويج حريتنا السياسية ، بادماج مصر فى عصبة الامم كدولة تامة الاستقلال .

مصر والقانون الدولى

وأهم النتائج فى نظرنا من دخول مصر فى عصبة الامم ان يصبح القانون الدولى أساسا للعلاقات بين مصر وسائر الدول ، سواء أكانت بريطانيا او دولة غيرها وهذه ميزة يطيب لى أن أشيد بها .

ولن يعترض أحد بعد اليوم على انضمام مصر الى عصبة الامم كدولة مستقلة تامة الاستقلال ، موفورة الكرامة ، مرفوعة الهامة ، مخطوبة الود بين مجموعة أعضاء أسرة عصبة الامم .

هذا من الوجهة الخارجية التى يرجى ان تؤدى فيها المملكة المصرية قسطها فى خدمة التعاون بين أمم الارض المتمدينة التى تنتظمها تلك الاسرة الدولية العظيمه .

عضوية مشرفة لمصر

يشبه انضمام مصر الان الى العصبة بانضمام الدولة التركية فانه وان جاء متأخرا فقد تم بنبل وعظمة فى الاوان المناسب فان تركيا ظلت فى عزلة عن الجامعة حتى استعادت مكانتها الادبية والسياسية والاقتصادية ثم اندمجت فى العصبة مكرمة معززة مرعية الود

عضوية الحبشة التعسة

وعلى نقيض ذلك رأينا الامبراطورية الحبشية تسبق الزمن وقبل أن توطد شؤون بيتها سارعت الى التماس عضوية العصبة فتجهم لها ساسة الانكليز انفسهم واشتدت المعارضة فى قبولها من كثير من اعضاء العصبة بحجة عدم انتشار المدنية الحديثة بها والزعم بتفشى الرق واضطراب الامن ومع ان الحبشة انتهت بانضمامها الى العصبة بالاجماع فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٢٣ بنفوذ فرنسا فانها لم تكن سعيدة ولاموفقة لانها سبقت الاوان ، ونمسك عن ذكر ما تنطوى عليه مأساتها الخاصة وظروفها المعلومة ، كذلك يوجد فى العصبة ممثلون للمستعمرات المستقلة ذاتيا وللاقطار الواقعة تحت الانتداب ولهم اصوات معادلة لصوت كل دولة عظمى مستقلة والغرض من ذلك ايجاد تفاهم عام وتقارب وتعاون بين امم الارض المتمدينة

شروط العضوية والاعضاء

(١) اول شرط للعضوية ان يكون القطر متمتعا بحكومة منظمة مستقرة غير ثائرة

اسماء اعضاء العصبة

وتتألف الجمعية العمومية للعصبة من الحكومات الاتيه وهى :—

جنوب افريقية والبانيا والارجنتين واستراليا والبلجيك وبوليفيا والبرازيل والامبراطورية البريطانية وبلغاريا وكندا وشيلى والصين وكولومبيا وكوستاريكا وكوبا والدانمرك ودومينيكا واسبانيا واستونيا واثيوبيا وفنلنده وفرنسا واليونان وجواتيما لا وهايتى وهوندراس والمجر والهند وارلنده الحرة وايطاليا ولتوانيا وليبريا ولتونى ولكسمبرج ونيكارجوا والنرويج وزيلنده الجديدة وبناما وبرجواى وهولانده وبيرو وايران وبولنده والبرتغال ورومانيا وسلفادور ويوجوسلافيا وسيام والسويد

وسويسرا وتشكوسلوفاكيا وارجواى وفنزويلا والنمسا والعراق وتركيا والروسيا

(٢) يشترط لقبول مصر عضوا ان يوافق ثلثا أعضاء الجمعيه العموميه على الاقل

(٣) والقطر الذى يرشح للعضوية يقدم طلبا الى العصبة وتزكيه دولة من بين الاعضاء وتقوم بمهمة الشبين وتقديم المرشح لهيئة العصبة .

(٤) ويمثل القطر المرشح عادة وفد من كبار ساسة الدوله يكون جديراً بشرف التعارف الى ممثلى دول العالم الذين تنتظمهم أسرة عصبة الامم .

اول مزايا المعاهدة

حقوق والتزامات

أقرت لنا المعاهـدة بحقوق حيوية ، كما ألقت علينـا التزامات كبرى وهذه الالتزامات اذا كان علينا بعض الاثقال من حملها فلنا من منافعها ما يبرر هذا الحمل يدعونا لايجابه علينا كما أوجبتها على نفسها سائر الامم الكبرى الحريصة على حريتها ومكانتها فى العالم . اما الحقوق فهى كسب لا ريب فيـه ، وفى مقدمة ذلك ما تضمنته المادة الثالثة من المعاهدة حيث اعترفت الحكومة البريطانية بان مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وما نصت عليه المادة الاولى من اعتراف الحكومة البريطانية بانتهاء احتلال مصر عسكريا بالقوات البريطانية . وبذلك كملت لمصر سيادتها الداخلية لاول مرة ووقفت وجها لوجه ، مع حليفتها الجديدة الامبراطورية البريطانية وقفة الند بجانب الند والحر بجانب الحر ، وقفة الصديق الأبى بجانب الصديق الوفى

نعمة الاستقرار

بفضل هذه المعاهدة حصلت البلاد على اعظم امنية تطمح اليها أمة من الأمم ودولة من الدول مهما كمل استقلالهـا ، تلك نعمة الاستقرار ، الاستقرار السياسى ، الاستقرار الداخلى . فكثير من دول العالم التى تمتعت باستقلالها منذ آجال طويلة تعانى فى هـذا العصر هزات عنيفة اجتماعية وحزبية ، تجعـل لون الحيـاة مشوباً

بالاضطراب والكمد ، أما الاستقرار الذى انتهت اليه مصر بفضل هذه المعاهدة ، فقد اكسب الحياة في مصر لونا محبوبا ، وخلع عليها رداء من السلام ، وجعلها بانتعاش الامال ، وأصبح الشعب يتمتع بالنظام الذى يرضاه ، اصبح الشعب يتمتع بحكومته ، كما اصبحت الحكومة من الشعب وللشعب وبالشعب تفكر بتفكيره وتحس بأحساسه ويجيش صدرها بما يملأ جوانح الامة : هنا اليوم شعب يحب حكومته وحكومة تبادل الشعب حبا بحب وولاء بولاء .

حكومة مصر المستقله

هنا اليوم حكومة مستقلة تعمل لخدمة الشعب كله لا بعضه ، حكومة تفتح صدرها وجناحيها الى ابناء مصر جميعا بلا تفريق ولا حزبية ولا عصبية حكومة مصر المستقلة حكومة فى ظل الاستقرار تمارس حقوق الاستقلال ، فتعمل على تدعيم الدستور بلا معقب ولا خشية من عدوان ، تعمل على جعل المبادىء التى رسمها الدستور لحماية حريات الافراد والجماعات حقيقة واقعة ، تعمل على توجيه أبناء الامة الى اجتناء ثمرات الاستقلال فى شتى المرافق ، حكومة مستقلة سيقوم فى ظلالها ماطالما تاقت اليه البلاد من مؤسسات مالية ومصارف وطنية ومنشآت اقتصادية وصناعية وتجارية ، وسيكون للقانون الكلمة العليا فى كل أمورنا ، وسيكون للعدل والانصاف القول الفصل فى معاملاتنا وتصريف شئوننا وفى علاقة الشعب بالحكومة وعلاقة الافراد بسائر الهيآت وعلاقة الافراد بعضهم ببعض

العدل دستور الاستقلال

كانت المحاباة سلاحا لقضاء الحاجات ، فاليوم فى ظل الاستقلال ستصبح الكلمة للحق والثقة . والغلبة للانصاف وحده . وسيكون الاجتهاد والولاء للوطن هما الحكم الفصل فى اختيار الاصلح لولاية الاعمال الحكومية والاعمال الحرة على حد سواء .

تذكرون أيها السادة فضل الاستقرار عند ما تذكرون ما عانته البلاد من محنة التنابذ والتناحر الحزبى ، ولقد ضحت البلاد كثيراً وأهدر فى عهود الظلام كثير من نحب ونعتز ، كما فسدت الذمم ، واستبيحت الكرامات ، ووطئت الاخلاق بالمناسم ، وجاء حين من الدهر كدنا نعتقد ان الفساد قد دب فى كل شىء ، ومع ذلك ظلت الروح الوطنية سليمة والقوة المعنوية تصارع وتغالب حتى تم النصر للحق والمبادىء العالية

انا لا اذكركم بمرارة الماضى ؟ انا لا اذكركم بما يثير اشجانكم ، ويعيد الى أذهانكم صفحات مظلمة قاتمة قد أمست فى حكم التاريخ .

توديع مأساة الماضى

انا لا أذكركم أيها السادة بكيف كانت تدبر أمور البلاد وتساس ، ولا كيف كانت علاقة الافراد بالحكام ، وعلاقة الهيئات بالسلطات ، لقد كانت عجباوخليطاً من الاضداد والمحاسن وحلقة من الكر والفر وسوء التفاهم ، ولكنى أودع معكم الماضى بغموضه وقصوره ، واضطرابه ، ومسالكه الملتوية ومنعرجاته البعيدة عن جادة الحق والعدل والواجب والصواب ، دعونا نودع سعاية التفريق بما حملت من سوء استعمال السلطة وتوجيه مرافق الدولة لغير ما وضعت له ولغير صالح الوطن .

أيها المصريون لقدفرقتنا بالامس نقمة التبعيةواليوم تجمعنا نعمة الاستقلال والحرية .

وعندى أن آية الاستقلال الكبرى أن نتغاضى عن الصغائر وأن نفكر فى مصر وحدها ، وأن ننسى ما مضى ، وذلك خير وأبقى .

استقبال عهد الاستقلال

تمصير المرافق — تعميم التشريع المالى — المعاهدة تفتح باب الاعمال

حل مشكلة المتعلمين العاطلين — الى العمل — الى النور

تمصير المرافق المصرية

حققت المعاهدة للبلاد تمصير المرافق المصرية ؛ فالحكومة اليوم طليقة فى ان تنقب عن كوامن قوة الدولة وكنوزها المدخرة ، ومناجمها الموصدة ، وستمسك بيدها القوية الحازمة مفاتيح كنوز البلاد ، التى نام اهلها عن استثمارها ، وستقوم شركات الاستغلال والانتاج بصناعات جديدة عميمة النفع ، وسيصبح انشاء المؤسسات الاقتصادية ميسرا فى ظل الاستقلال وبفضل الحكومة المستقلة

تمصير المنشآت القائمة

فى بلادنا شعب نشيط وأيد عاملة رخيصة ، وبمدخراتنا وتعاون النزلاء معنا تتوافر رؤوس الاموال فلماذا وقد أعلن استقلال البلاد وتوثقت صداقتنا ببريطانيا لماذا نتردد فى استغلال ثروة البلاد الكامنة ، ولكن لا تردد بعد اليوم فلنضع يدنا فى يد حكومتنا الموفقة بعزيمة ثابتة وقلوب مطمئنة ولنضرب فى مناكبها والله ولى العاملين .

المعاهدة تفتح باب الاعمال

انشاء الطرق اعظم نعمة للعمل والعمال

ألق نظرة الى ما اشارت اليه المعاهدة تر ان هناك مبانى ضخمة يجب انشاؤها

وطرقا يجب مدها ورصفها ، وكباري يجب اقامتها ، وسككا حديدية يودى بها ، ومنشآت مختلفة يقتضى عملها ، انظر الى ماتحتاج اليه هذه المشروعات وما يعوزه بناء تلك التكنات الفنية من أيد عاملة ومهندسين وبنائين ومقاولين وموظفين ، ثم انظر الى الربح الطائل والرزق الوافر الذى تدره تلك المشروعات على القائمين بها من رجال الاعمال والصناع والعمال والتجار والمهندسين واصحاب المصانع وغيرهم وما تفيده مرافق الانتاج من اقبال وازدهار : والاولوية فى كل ذلك للمصريين . وهاهو المغنم أمامهم والطريق مفتوح لهم . فاذا سلكوه . فقد حققوا الخير لانفسهم والسعادة لوطنهم

المتعلمون العاطلون

واذا تكلمنا عن الايدى العاملة فمن الذى يقودها ويوجهها ويرسم لها الخطط غير المتعلمين ؟

ولقد سمعنا طويلا وشهدنا ان هنـاك أزمة للمتعلمين العاطلين ، وقال بعض الباحثين ان البلاد تنتج فوق الحاجة من المتعلمين وان المتعطلين من المتعلمين يطوفون الدواوين ولايجدون عملا وكد بعض الباحثين الذهن وأعمل الفكر حتى فتح الله عليه بالمشورة على الدولة ان يحدد عدد المدارس وقال غيره ان المدارس المصرية لاتعد الشبان الاعداد الكافى وان المدارس مع ذلك فى زعمه تخرج أكثر من حاجات البلاد .

وانى اعلن . من أعلى هذا المنبر ان هذه الآراء عقيمة وقاصرة لاتنهض على أساس من الحقيقة

فالمدارس المصرية كالمدارس الاوربية قوية فى نظامها غنية بمناهجها عظيمة بأساتذتها ومعلميها وهى تعد المتعلمين لأعظم المهام وأدق المسئوليات والمصرى ذكى بفطرته غنى بمواهبه واسع الحيلة رحب التفكير يتكيف مع الظروف والمصرى بشهادة المنصفين من أعلام الاجانب أنفسهم مقتدر على تولى أعمال مختلفة بكفاية تامة حتى لو كانت لاصلة لبعضها ببعض .

الى النور الى العمل

فكيف يتهم المصرى فى رجولته ويرمى بالقصور والعجز عن ولاية الاعمال ولا ذنب له وانما الذنب للجمود الذى ساد البلاد دهرا طويلا وأرخى على مصر ستارا كثيفا حجب عنها نور الحياة وأقعدها عن الاضطلاع بالاعمال الحيوية والمشروعات المنتجة وجعل من المصريين من يرى ان مصر فى غير حاجة الى أبنائها ولو كانوا من المتعلمين المثقفين .

وهاهى المعاهدة تبدد هذا الظلام وترفع عن البلاد هذا الحجاب واصبحنا جميعا نرى الحقيقة ناصعة وهى ان مصر القوية الفنية قد أضحت طليقة من القيود العتيقة واستردت سيادتها وسلطانها وانها عما قريب ستغدو فى حاجة ماسة لاضعاف هذا العدد من ابنائها المتعلمين

أيها السادة : ان مصر أمة النيل ومهد العلم والعرفان والحضارة . مصر التى لاتزال عنوان العظمة وعروس الامصار ومنارة الشرق لا يمكن ان تحارب العلم أو تحجم عن الترحيب بالمتعلمين أو تغض من ذوى الكفاية أو تشكو كثرة من خريجى المدارس وانى أعلن مرة أخرى من هذا المنبر ان البلاد فى الغد القريب تحتاج الى أضعاف هذا العدد من المتعلمين

ومن المهم أن نشير الى ان التعلم لا يقف عند تحصيل شهادة من الشهادات او اجازة من الاجازات أو لقب من الالقاب بل هو اطلاع وابتكار وتجديد أو قل هو علم محصل وفن يدرك ويتقن وصناعة تعرف وتمارس على وجهها الصحيح وتؤدى فى صورة كاملة مستقرة دائما ، والواقع ان الامة الناضجة لا تقنع أن يكون لها أفراد مجندون وجيش مسلح بل يكون للأمة موارد لا حد لها من المتعلمين فالجيش الحديث هو الامة باسرها ممثلة فى متعلميها .

الغاء الامتيازات

المزايا المالية للمعاهدة

لقد وضع أساس للوصول على وجه السرعة الى الغاء الامتيازات بمصر ، وما يتبع ذلك حتما من الغاء القيود الحالية التى تقيد السيادة المصرية ، فى مسألة سريان التشريع المصرى على الاجانب بما فى ذلك التشريع المالى ، وان تتولى الحكومة المصرية المستقلة الاتصال مباشرة وفورا بالدول ذوات الامتيازات بقصد الغاء كل قيد يقيد التشريع المصرى على الاجانب ، ثم التفاهم على اقامة نظام انتقال للمحاكم المختلطة ، ينقل اليها الاختصاصات المخولة الآن للمحاكم القنصلية ويضع نظام المحاكم المختلطة عند حد معقول أدنى الى الكرامة المصرية .

تحقق المعاهدة اذن الوصول الى حرية التشريع المالى والتصرف فى الاموال العامه ، وتمكين حكومة الدولة من عمل الميزانية ، على النحو الذى يرضى بلادنا ، ويحقق مصالحنا كافراد وجماعات ، وقد كانت القاعدة الى اليوم ان الحكومة المصرية ، اذا شاءت ان تقوم بمشروع من المشروعات مهما تجلت مصلحة الأفراد ، وظهرت الحاجة الملحة اليه . فلا يمكنها ان تقوم به ، الا فى حدود ايراداتها المقيدة الجامدة الخالية من المرونه ؛ حتى حرمت البلاد من الاصلاحات الحيوية ، والمشروعات الضرورية مثل تعميم مياه الشرب ، وتعميم التعليم الالزامى ، وتعميم الطرق والمواصلات بين القرى وربطها بالمدن ، بما يتفق وحاجات العصر ومقتضيات المدنية وحاجات الامن الداخلى والخارجى وسنرى ان المعاهدة تكفل ملأ هذا الفراغ

انهاض الميزانية المصرية

لم يبق سراً ان الميزانية المصرية تقوم من الناحية المالية على قواعد علمية سليمة ولكنها تفترق من ميزانيات الدول المتمدينة فى اعتبارات أخرى خطيرة منها أن ميزانية

ايرادات الدولة المصرية جامدة غير مرنه . وأنواع الضرائب المباشرة فيها غير عديدة ولا دسمة مدرة ، كما أن توزيع الضرائب غير عادل ، ولا متفق مع مصادر الثروة المربحة والايرادات الغزيرة لمختلف طبقات السكان

والضرائب العقارية على الاطيان والاملاك المبنية هي التكليف المباشر المخول للحكومة فرضه على المصريين والأجانب على السواء ؛ أما سائر المرافق فمعفاة تقريبا ، وقد أرهقت الاطيان بالتكاليف حتى اعترفت الحكومات المتوالية بان الضرائب التي تجبى من المموالين هي فوق طاقتهم ، ولقد استردت مصر حريتها في تعديل الرسوم الجركية من فبراير سنة ١٩٣٠ وأضحت الضرائب غير المباشرة هي الوسيلة الرئيسية لتمويل المشروعات جهد المستطاع، ومع ذلك تعذر القيام بكثير من مطالب الشعب الملحه

تعميم الاصلاح فى القرى والمدن

واليوم اذ تسترد مصر حريتها فى فرض الضرائب على الاجانب والوطنيين على السواء يرجى ان تحقق للشعب امانيه فى الاصلاحات العمرانية والعلمية والصحية فى أقصر مدة وفى أعم نطاق

وتذكرون ان البلاد ضجت بالشكوى طويلا من ضغط الامتيازات ، وكان على الحكومة اذا ارادت فرض ضريبة على كافة السكان ، مهما كان لها من مثيلاتها في الأنظمة الاوربية ان تلجأ الى الدول صاحبات الامتيازات ، وهي اثنتا عشرة دوله تلتمس موافقتهن وكانت تلك الدول تقبل أو ترفض ما تعرضه الحكومة المصرية بغير تعقيب ، اذ هي غير مكلفة عند الرفض بابداء الاسباب ، ولها الكلمة العليا فيما تقول وما تريد كما كان للدول ان تساوم فيما تريد مقابل سماحها بسريان الضرائب على رعاياها ، فالمعاهدة المصرية البريطانية قد اذنت برفع هذه القيود الشائكة عن مصر ، وأبعدت عن مالية الدولة هذا الجمود ، وحققت للبلاد السيادة المالية ، لتستخدمها فى مصلحة الفرد فى الوقت الذى توجهها صوب مصلحة الجماعة

عهد اليسر والخير العام

فيأيها المصريون أفراداً وجماعات اطمئنوا اليوم بالا على مصالحكم، فان الحكومة بعد اليوم لن تقف عاجزة مكتوفة الايدى ، امام حاجات الافراد ، اذ لديها من الوسائل مايمكنها من تحقيق ماتشاء من المشروعات .

ولهذا كانت المعاهدة فتحا مبينا ونصراً عظيما . ولاول مرة في التاريخ الحديث ستقوم لمصر قريبا ميزانية تعتمد على الضرائب المرنة التى لاترهق أحدا بينما تدر الايرادات الغزيرة للدولة وتكفل الموازنة والانسجام بين ميزانية الافراد وميزانية الحكومة ، لقد انقضى عصر الجمود وأدبر عهد التواكل والخمول والمتناقضات والقيود ،أدبر عهد رأينا فيه دولة مغلولة فى مصروفاتها . مقيدة فى ايراداتها مكبلة فى معاملاتهـا . مشلولة فى اجراءاتها . هـذه الدولة التعسة بالامس . الظافرة اليوم . بحكمة الشعب وبفضل سياسة الوفاق والمسالمة مع عدو الامس . وصديق اليوم والغد تتخلص مصر اليوم من كل هذه القيود والاغلال وتسترد كامل حريتها

اعادة تنظيم المحاكم المختلطة وتمصيرها

تسلم المعاهدة لمصر بان تتولى بالاتفاق مع الدول نقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة فى المسائل الجنائية وفى المسائل المدنية والتجارية . أما مسائل الاحوال الشخصية فيجوز تركهـا مؤقتا للقنصليات . كذلك تتولى مصر تعديل القوانين لتلائم حاجة العصر . وسيقتضى كل هذا تعيين عدد كبيرمن الموظفين حصة المصريين منه وافرة . وبالغاء الامتيازات والغاء المحاكم القنصلية تتخلص مصر من أكبر عقبةتقيد سيادتهاوتشل نهضتها اوتؤذى كرامتهاومن ثم تزول الفوارق بين المصرى والاجنبى

هيبة الحكومة تعظم
بالغاء المحاكم القنصلية والحمايات
كما يعتز الامن والعدل والنظام

من أعظم حسنات المعاهدة الغاء المحاكم القنصلية على النحو الذى وصفنا وسيكون من نتائج ذلك ان الاجنبى الذى يرتكب جريمة او يعتدى على مصرى تتخذ معه الاجراآت العادية وتطلق للنيابة العمومية الحرية فى اعتقاله والتحقيق معه بغير استئذان القناصل . وسيحاكم الاجنبى المتهم أمام القضاء المختلط فى حدود النظام الذى ستضعه عاجلا الحكومة المصرية بنفسها وسيكون العنصر المصرى فى هيئة القضاء المختلط الجديد خير ضمان لأنارة العدل .

وبالغاء المحاكم القنصلية يدفن عار الحمايات التى تعسف فى استعمالها كثير من الاجانب فعرقلوا رسالة الامن العام وعبثوا بالنظام واستخفوا بهيئة الحكومة المصرية وبكرامة المصرى . وهذا لا يمنعنا من أن نشهد بأن عقلاء الاجانب ولا سيما رجال الاعمال منهم التزموا جانب القصد والاعتدال وحسن المعاشرة واتخذوا مصر موطنا ثانيا لهم .

والآن بفضل المعاهدة تزول الفوارق بين المصرى والأجنبى . وبالغاء الامتيازات والمحاكم القنصلية تتحرر مصر من اكبر عقبة تقيد سيادتها وتشل نهضتها وتؤذى كرامتها .

توطيد الدستور المصرى

زوال ادعاء بريطانيا حماية العرش

توثيق روابط العرش بالامة والحكومة

على هدى الدستور والنظام الديموقراطى

الحمد لله بفضل المعاهدة حل الاستقرار محل التقلقل والاضطراب واصبح الشعب يتمتع

بحكومته والحكومة تتمتع بثقة الشعب وهى ماضية فى سياستها الأصلاحية مزودة بمحبة الأمة وتعاونها وقد زادت هيبة الحكومة فى الداخل والخارج وبفضل المعاهدة توطد احكام الدستور وتستقر الحياة النيابية البرلمانية بمأمن من التدخل البريطانى وبذلك تتفرغ البلاد حكومة وشعبا لأعداد وسائل الدفاع الوطنى وتنظيم اسباب اليسر والرخاء للأهالى ، كما هيأت المعاهدة الاسباب لزيادة توثيق أواصر الالفة والتعاون بين العرش والامة وبين العرش وحكومته فى السر والعلانية على هدى الدستور والنظام الديموقراطى الذى وضع التدخل البريطانى عند حده حيال صلات العرش بالأمة والحكومة . وزال ما كانت تدعيه بريطانيا منذ الاحتلال من انها ندبت نفسها لحماية عرش مصر والآن قد وضعت الامور فى نصابها والأمة أعظم ما تكون التفافا حول العرش وتعلقا بجلالة الجالس عليه وهو رمز العهد الجديد السعيد عهد الاستقلال والنهضة والديموقراطيه

المعاهدة واخواننا النزلاء

عهد تعاهد وتآلف

لو نظرنا الى هذه المزايا التى تنطوى عليها المعاهدة المصرية البريطانية لظهر لنا ان السعادة المنتظرة من تطبيق نصوصها لن يقف أثرها عند المصريين وحدهم بل سيتعداهم الى كل من يسكن وادى النيل وتظله سماء مصر ، فان المصريين قوم نبلاء كرماء متزنون محبون لضيوفهم مكرمون لنزلائهم .

واذا اعمل اخواننا النزلاء الأجانب الفكرة والروية وجدوا ان فى مصر متسعا للجميع ، وإذا تدبروا مصالحهم على الوجه الصحيح وايقنوا بحقيقة شعور المصريين لاغتبطوا بالعهد الجديد وما سيتيحه لهم من فرص ذهبية اذ يتسنى لهم . توظيف رؤوس أموالهم بيننا فى نطاق واسع ومجال أعم وسيجدون ان مصلحتهم تتلاقى مع مصلحة الاهالى ومع نجاح اخوانهم المصريين ، وان التعاون بينهما كفيل بانهاض مرافق البلاد وانتظام الأمور واستقرار الأحوال .

الحكومة تحبط مناورات المضاربين الاجانب

ومما تحسن الأشارة اليه أن الحكومة المصرية أشد ما تكون حرصاً على استبقاء روح حسن التفاهم والتعاون بين النزلاء والمصريين ، كما أنها ساهرة بالمرصاد لدعاة الفتنة من المضاربين فى الاسواق والبورصات الذين يحاولون تعكير جو حسن التفاهم مع الأجانب ويعبثون بالاسعار للصيد فى الماء العكر ، ولكن صاحب المعالى المجاهد العظيم مكرم باشا وزير المالية لاينى عن احباط امثال هذه المناورات الخطرة . وقد رأينا كيف تدهورت الأسعار فى اواسط اغسطس لمجرد تأهب الوفد الرسمى لتوقيع المعاهدة وسرعان ما فشت اشاعة المضاربين بان مصر ستفرض ضرائب خاصة فادحة على الاجانب دون المصريين بمجرد الغاء الامتيازات . عندئذ سارع وزير المالية بتصريح خطير احبط به هذه المناورة الدنيئة والفرية الذميمة . ونورد فيما يلى نص ذلك التصريح :—

تصريح خطير

فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٣٦

لمعالى وزير الماليـــة

بشأن الاوراق المالية والمضاربين بالاشاعات

قبيل افتتاح البورصة ببضع دقائق القى حضرة صاحب السعادة صادق حنين باشا مندوب الحكومة فى بورصة الاوراق الماليـة تصريحا لمعالى وزير المالية مكرم عبيد باشا هذا نصه .

« علمت ان البيع الذى سبب هبوط الاسعار فى الايام القلائل الماضية ينسب الى اسباب مختلفة من بينها ما نشر من الاخبار عن مشروع الاتفاق المتعلق بالامتيازات . وفى الواقع أن هناك زعما بان تلك الاخبار أقلقت بعض الماليين الاجانب وخاصـة فى صدد نظـام فرض الضرائب فى المستقبل .

ولذلك يهمنى ان اوضح انه عند ما تزاول مصر حقها المستمد من سيادتها فى فرض الضرائب فانها لن تستعمل هذا الحق الا بأعظم ما يمكن من الاعتدال . وسنظل على الدوام كما كنا فى الماضى نعلق اهمية جوهرية على التعاون الوثيق المثمر الذى يبذله الاجانب المقيمون فى مصر بنشاطهم وبرؤوس اموالهم

وها أنا أصرح اليوم كما صرحت غير مرة بأن بلادنا لا يمكن أن تسمح باية حالة من الاحوال باى تمييز ضد الاجانب سواء من حيث المبدأ

أو من حيث العمل . لا لأن مثل هذا التميز ينافى تقاليدنا وتصريحاتنا العلنية فحسب بل لانه ايضا يلحق ضررا خطيرا بمصالح البلاد الحيوية

بناء عليه اؤكد ان ما عساه ان يكون قد ساور بعض النفوس من المخاوف فى هذا الموضوع لا يجد اقل مبرر له ، لا فى المعاهدة بين مصر وانكلترا ، ولا فى النتائج المترتبة على المعاهدة ، ولا فى نياتنا نحو الاجانب

وانى اؤمل ان يسترشد اعضاء هذه البورصة فيما يختص بهم بتصريحى هذا

وعندنا ان هذا التصريح عند انتشاره فى الدوائر المالية فى مصر والخارج لا يلبث ان يقضى على المخاوف التى ساورت بعض الماليين الاجانب . فتعود الحركة فى بورصات الاوراق المالية المصرية إلى حالتها الطبيعية وتسترد الاسعار مافقدته فى الايام القليلة الماضية »

عهد تحرير الجندى المصرى
تمصير قوات الدفاع والبوليس

ينبغى لكى نتبين مستقبلنا ان نعرض الى ماضينا فى الدفاع وادارة البوليس .

تمصير الحربية : لنا وزارة للحربيـة الآن وأتمنى ان تسمى فى ظل الاستقلال بالاسم الطبيعى الشرعى وهو وزارة الدفاع

ووزارة الحربية قبل الاعتراف باسـتقلالنا التام كانت كما لا يخفى ، وكما هو حاصل فى كل أمة محكومة كانت لا تملك مصر فيها شيئا فعليا من أمر تعيين الموظفين ومكافأتهم ومجازاتهم ولا تملك التصرف فى مشتريات الجيش وحاجاته وذخائره وكانت للدولة البريطانية الهيمنة أما الآن فبفضل معاهدة الصـداقة بين مصر وبريطانيـا قد ألقى على المصريين مهمة الاضطلاع بالحربية والدفاع ولهذا لم تتردد المعاهدة فى تقرير الغاء منصب مفتش عام الجيش وقد استردت الحكومة كامل حريتها فى ادارة قواتها البرية والبحرية والجوية وتمصير الدفاع الوطنى وقد بينا واجباتنا الوطنية حيال هذا الحادث العظيم فى تاريخ مصر . واليـوم تحرر الجنـدى المصرى واسترد شعاره .

تمصير البوليس

أما قوات البوليس فى الحكومة المصرية وتبلغ نحو تسعة عشر ألفا نصـفها يؤلف بوليس المدن الكبرى وتسـيطر عليه الادارة الأوربيه والضباط الأجانب . وبفضـل هذه المعاهدة تلغى الادارة الأوربيه بوزارة الداخلية وتمصر ادارة البوليس المصرى كما ان العنصر الأجنبي فى البوليس سيستغنى عنه خلال خمسة اعوام فى كل عام الخمس من بداية نفاذ معاهدة الصداقة والمحالفة بين انجلترا ومصر وسيتاح اصلاح البوليس المصرى وفق احدث النظم البوليسيه وأوفاها بطبيعة البلاد وحاجتهـا اذ يجب

أن يكون البوليس فى وسائله ومعداته وتكوينه أنشط مما هو عليه وأذكى لتقصى المجرمين بخطط ووسائل أسرع من خططهم ووسائلهم واحكم منها ؛ يجب ان تنصف الشهادات المصرية وان ينصف العلم والتعليم فلا يعين رجال بوليس الأمن وبوليس المرور وحماة الأرواح والأموال الا من خريجى المدارس ؛ وهم والحمد لله كثيرون جداً من ابناء الشعب ، وحسب مصر ما تحملته فى الماضى من التساهل فى اختيار جنود البوليس من الأميين والجهلة حتى جعلوا وظيفة البوليس شاقة وعسيرة ومحل انتقاد عام فى الماضى .

أما الآن فهذا عصر العلم والعرفان وعهد الاستقلال ومن حقنا وواجبنا أن لا نولى وظائف البوليس الا المتعلمين المهذبين كما نولى كافة أمورنا خيارنا وهذا لحسن الحظ رائد حكومة الوفد الموفقة .

* * * * *

نشوء فكرة الاستقلال

رسالة النهضة العامة

رسالة وزارة التجارة والصناعة

ان المعاهدة المصرية البريطانية هى التى أتاحت لنا فرصة تمصير قوات الدفاع والبوليس لخدمة مصر اولا وقبل كل شىء وذلك بفضل نشوء فكرة الاستقلال وأصبح تصرفنا فى أمورنا مطبوعا بطابع الاستقلال فى كل شىء لا فى الدفاع وصيانة الأمن وحدها ولكن فى وسائل

ادارة الدولة واستثمار مرافقها واحداث المنشآت التى لابد منها لكل جسم مستقل حى . والواقع ان نشوء فكرة الاستقلال هو لباب المعاهدة وجوهرها اما التفاصيل والملحقات فهى عرض .

واليوم نستطيع ان ننشىء بنكا قوميا مستقلا لان فكرة الاستقلال وجدت ، واليوم ننشىء بنكا عقاريا قوميا للصناعة لو انشأناه قبل الآن لما كنا طلقاء فى تكوينه وكذلك شاهدنا كيف تكون بنك التسليف الزراعى قبل هذا العهد ، تكون فى قالب مختلط مقيد بمختلف التيارات وتباين مصالح اصحاب رأس ماله ولو أنشىء هذا البنك اليوم لكان قوميا طليقاً بمعنى الكلمة — كذلك تنشىء لنا فكرة الاستقلال الآن سياسة الاعتراف بنقابات العمال وتنظيم العمل لخير مصر ولسعادة أسرات العمال — وكل ذلك بفضل نشوء فكرة الاستقلال . ولحسن حظ مصر أن يستقبل الوطن عهد الاستقلال وعلى رأس وزارة التجارة والصناعة وزير وطنى مقدام هو صاحب المعالى الاستاذ المصلح الالمعى عبد السلام فهمى باشا

استقرار الاسواق المالية والتجارية

ومن خير ثمار المعاهدة العمل على استقرار الاسواق والبورصات المصرية بفضل وحدة التشريع ، ثم اجتناب هزات التلاعب فى الاسعار العامة ووضع سياسة قومية لأثمان الحاصيل . وتكفل المعاهدة للحكومة اعادة تنظيم مركز مصر المالي والتجارى بحيث تصبح البنوك فى مصر

اداة معاونة للبلاد فى اليسر والعسر على حد سواء ، وتطلق يد الحكومة فى أنشاء بنك مركزى مستقل يكون بنكا للبنوك . كما تنشىء بنكا عقاريا للدولة .

نعمة الطرق والمواصلات

اتاحت المعاهدة لمصر فرصة سعيدة حقا لتحسين مواصلاتها وتعميم طرقها والمزيد من ارتباط المدن بالقرى بأحدث السكك واوفاها بحركات النقل البرى الحديث وتلك نعمة من أعظم النعم ستعجل المعاهدة بتحقيقها لتمشيها مع البرنامج الاصلاحي للحكومة الوطنية ، والرجاء معقود بهمة الرئيس الجليل وحزم الوزارة الوفديه وعزيمة الوزيرين المختصين المظيمين البطلين النقراشى باشا وزير المواصلات وعثمان محرم باشا وزير الاشغال الرجاء أن تنجز فى القريب الطرق والسكك والمواصلات التى اشارت اليها المعاهدة ففى ذلك تقصير لأمد الجلاء وتنشيط للحياة الاقتصادية والتجارية فضلا عن انعاش الانتاج الزراعى والصناعى فى البلاد .

تخفيف التكليف عن الاسرة

ما من أسرة فى مصر الا وتشكو من وجود عدد لا يستهان به من أعضائها عاطلا عن العمل فضلا عما نعلم جميعا من أن رب الاسرة فى مصر هو عائلها الاوحد فبينما نجد فى اوربا — بفضل انتشار العلم وتنوع المرافق المادية — عملا لكل عضو من الأسرة يعود بالرزق على الفرد والجماعة

نجد في مصر (شيالا) واحداً لاعباء الاسرة . وبفضل المعاهدة الجديدة سيفتح العمل على مصراعيه لكافة أفراد الاسرة المصرية ، وسيزداد دخلها بزيادة دخل افرادها . وستستقيم ميزانية الافراد فيضمحل الدين السائر وتنمو المدخرات الفردية وتتوافر السعادة للأمة المصريه

تخفيف غلاء المعيشه

وبفضل نمو موارد الدولة وتعميم الضرائب على المرافق الفنية المعفاة وبفضل اتخاذ نظام جديد في توزيع موارد ميزانية الدولة أساسه التخفيف في الضرائب ومنها الضرائب الجمركية وغيرها من المكوس التي جعلت تكاليف المعيشة عالية بالنسبة لذوى الموارد المحدودة والرزق غير المستقر وبالنسبة للفقراء الذين أرهقوا ارهاقا لامبرر له الاهم الا النظام العتيق الذى نودعه الآن غير مأسوف عليه

انتعاش السياحه

سيصبح لمصر بتنفيذ هذه المعاهدة طرق ممهدة وشبكة جديدة من المواصلات ترفع عن مصر عارا طالما رميت به الحكومات المصرية المتعاقبة لسوء حال الطرق البرية كعدم كفايتها للمواصلات التي يقتضيها عصر المدنية والسرعة : فكثير من الذين لاتنقصهم المعرفة بجمال الآثار في مصر ورقة جوها يترددون كثيرا في القدوم الى مصر لما يعلمون من انهم اذا أحضروا سياراتهم معهم تعرضوا لغير يسير من وعثاء الطرق وضيقها على قلتها وبفضل انشاء الطرق والسكك التي اوصت بها المعاهدة تستطيع مصر ان تأمن على الدعاية الى السياحة في مصر حيث يتسنى للسائحين المرور بسياراتهم على شاطىء النيل العظيم يطوفون القرى والمدن ناعمين هانئين بسلامة الطريق وفتنة المناظر وروائع الآثار وعندئذ تجسر المجالس القروية والبلدية على

تجميل البلاد وترغيب السائحين فى زيارتها وينشط التجار لعرض منتجاتهم الوطنية وينهض اصحاب المال والاعمال بأقامة الفنادق والمنشآت التى يتطلبها عامل السياحة وفى هذا وذاك الخير كل الخير لسكان المدن والقرى على السواء

فهذه المعاهدة نعمة لعالم السياحة فى مصر ويرجى ان يكون من ورائها خير شامل وايراد كبير للبلاد

اول نجاح لمشكلة السودان

المعاهدة تعيد فتح باب السودان

وفق الوفد المصرى فى تمهيد حل مشكلة السودان المعقدة بعد فشل محاولات المصريين طوال خمسين سنة ، وبعد ان طرد الجيش المصرى من السودان وقطع صلة مصر الفعلية به ، وتلك خطوة موفقة من الوفد الرسمى ، وسنورد هنا خلاصة الحقوق التى سلمت بها معاهدة (الزعفران — لوكارنو) لمصر فى السودان وكلما صحت نيات الانجليز المقبلة وكلما ازداد تقدير المصريين لروح المحالفة فلنا عظيم الرجاء أن تنال مصر فى تطبيق المعاهدة مزايا أعم وأهم مما جاءت به النصوص . وذلك هو المأمول فى حلفائنا الانجليز . وواجبنا الآن أن نسارع الى تنظيم هجرة طوائف من الفلاحين وأن تؤلف شركات من الزراع لاقتناء واستثمار مساحات زراعية فى كثير من انحاء السودان الحسنة المواصلات ، وأن نعمل على تشجيع التجار المصريين وعلى انشاء الغرف التجارية هناك ، وعلى خفض المكوس بين مصر والسودان ، وعلى ايجاد وحدة جمركية تنشط التبادل التجارى ، ومصر أهم وأقرب مصرف لتجارة السودان . وعلى محبى السفر والسياحة من المصريين المثقفين أن يقضوا بعض الشتاء في ربوع السودان الجميلة . وفيما يلى ما تضمنته المعاهدة من مزايا لمصر بالسودان

المزايا التى سجلتها المعاهدة لمصر فى السودان

١ — اعادة فتح ابواب السودان للوطنين المصريين اطلاقا

٢ — عودة القوات الوطنية المصرية الى السودان

٣ — ايجاب تنفيذ الاتفاق الثنائى لادارة السودان بصفة مؤقته بمجرد تبادل التصديق على المعاهدة

٤ — الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة لتعديل اتفاقية سنة ١٨٩٩

٥ — ايجاب اشراك موظفين مصريين كبيرين من الجيش والرى فى مجلس الحاكم العام

٦ — اطلاق حرية المهاجرة للمصريين والاقامة بالسودان

٧ — اطلاق حرية تملك العقارات والاتجار والتعامل فى السودان كمواطنين

٨ — حق تعيين الوطنيين المصريين فى وظائف حكومة السودان بشرط توافر المؤهلات اللازمة فى المرشحين

٩ — تعيين خبير اقتصادى مصرى للخدمة فى الخرطوم

١٠ — تعترف الحكومة البريطانية بالديون المستحقة لمصر على حكومة السودان

١١ — على حاكم السودان ان يبلغ التشريعات والقوانين الى رئيس مجلس الوزراء فى مصر مباشرة . وكان قبلا يبلغها اذا اقتضى الامر بواسطة دار المندوب السامى

١٢ — ان يرفع حاكم السودان تقريراً سنوياً عن إدارة السودان وماليته واحواله الى الحكومة المصرية

وكانت امثال هذا التقرير ترفع عادة الى المندوب السامى البريطانى بالقاهرة فيتولى بدوره رفعها رسميا الى جناب وزير الخارجية البريطانية

١٣ — ان يعين ضابط مصرى سكرتيرا حربيا لحاكم السودان العام

١٤ — بمجرد نفاذ المعاهدة ترسل الحكومة المصرية فورا ضابطا مصريا عظيما

الى السودان لكي يعاون مع الحاكم العام في تحديد عدد الجنود المصرية اللازمة للخدمة في السودان وتعيين الاماكن التي يقيمون فيها والثكنات اللازمة لهم

ولحسن الحظ ان الضابط العظيم المرشح لهذه المهمة السامية وهو اللواء عبد المجيد فؤاد باشا من ذوى الكفاية العالية والمواهب الناضجة والخلق العظيم

١٥ — الغت المعاهدة الآثار الباقية من بلاغ المندوب السامى لورد اللنبي الى الحكومة المصرية بالجزاءات التي اوقعت على مصر ومصالحها الحيوية فى السودان انتقاما لمصرع السردار وحاكم السودان السر لى ستاك باشا بيد افراد اغرار غير مسؤولين قصار النظر خفاف الاحلام ضعاف الهام وذلك فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤

ونصت المعاهدة على الغاء امثال هذه الوثائق القائمة لمنافاتها لاحكام المعاهدة . وبذلك تكون قد طويت هذه المأساة التي ساءت مصر فى الصميم .

ولقد محت المعاهدة عار اذلال مصر وطرد الجيش المصرى وسيعود المصريون الى السودان بعد طول الغياب مرفوعى الرأس فيلقون من الحكومة ومن السلطات هناك حلفاء اولياء ومن الاهالى اهلا ومن السودان سهلا .

السودان ولقب ملك مصر

المعاهدة وتعديل الدستور المصرى

"ملك مصر وصاحب النوبة والسودان وكردفان ودارفور"

بفضل المعاهدة سيصبح لمصر دور ايجابي فى ادارة السودان ، وسيعدل الدستور المصرى تعديلا جليل الشأن يتضمن اثبات حالة الاستقرار التي حددتها المعاهدة بالنسبة للسودان ، ومن ذلك اللقب الذى يحمله ملك مصر فقد نصت المادة ١٦٠ من الدستور المصرى على الآتى :—

(يعين اللقب الذى يكون لملك مصر بعد أن يقرر المندوبون المفوضون نظام الحكم النهائى للسودان) والمفهوم أن حكومة صاحب الجلالة المصرية تمهيدا لذلك قد أعدت وثيقة كتاب الاعتماد السياسى لممثلى المملكة المصرية لدى الدول مستهلة الصيغة الدبلوماسية باللقب الذى اصطلح عليه ، ونورد فيما يلى ترجمة اتلك الوثيقة التاريخية الجديدة : —

ترجمة وثيقة التبليغ الملكى

بسم الله الرحمن الرحيم

من فاروق الأول

ملك مصر وصاحب النوبة والسودان وكردوفان ودارفور ، بنعمة الله .

الى حضرة صاحب الجلالة الملك .... او صاحب الفخامه رئيس الجمهوريه..............

الى صديقنا واخينا المحبوب .

تولينا عرش مصر بعناية المولى بعد وفاة والدنا المحبوب المأسوف عليه الملك فؤاد الاول ورغبة فى توثيق روابط الصداقة الموجودة بين بلادينا فانى أعزز تعيين . . .
بصفته مندوبا فوق العادة ووزيراً مفوضا لديكم

ولعلمى بأمانته ومجهوداته التى يبذلها والتى تؤهله لنيل رضاكم فانى ارجو من جلالتكم بأن تمدوه بعطفكم ومساعدتكم وان تتقبلوا بعناية الرسائل التى يرفعها اليكم

من جانبنا خصوصا عند ما يتشرف بأن يعبر لجلالتكم عن تمنياتنا لازدهار بلادكم وأنى لكم أيها الصديق الحبيب الصديق الوفى)

باسم جلالة الملك:— مجلس الوصاية — التوقيعات — محمد على — عزيز عزت — شريف صبرى — وزير الخارجية (واصف بطرس غالى)

اقتراح انشاء وزارة للسودان

ذكرنا فى صفحة ٦٢ أن أمرا عاليا صدر فى ١٥ يناير سنة ١٨٨٤ قضى بإتباع السودان لنظارة الحربية، ولكن سياسة الاستئثار بالسودان التى اتبعها الانجليز قضت بانشاء وكالة لحكومة السودان بالقاهرة كما قضت بأن يكون سردار الجيش المصرى حاكما عاما للسودان وغالت حتى اوشكت ان تقطع مظاهر اشراف مصر على السودان الى أن تداركت العناية الالهية مصر المغلوبة على امرها فجاءت هذه المعاهدة بشيراً بأحقاق الحق واعلاء كلمة الصلح والوفاق بين مصر وبريطانيا ، وقد سجلت لنا المعاهدة مزايا لا يستهان بها فى السودان ولو أنها لم تحقق كل امانينا طبعا . وقد يكون من المفيد الآن أن تنشىء الحكومة المصرية وزارة خاصة للسودان تضطلع بكافة مصالح المملكة المصرية فى السودان بالتعاون مع سائر الوزارات ، وتتفرغ لتنفيذ ماسجلته المعاهدة من مزايا لمصر فى السودان. وعندنا انه فى تخصيص وزير مسئول للسودان ماينهض بصلاتنا المقبلة بالسودان وينمى العلاقات .

* * *

تكييف المعاهدة المصرية البريطانية

وصف الدولة المستقلة ذات السياده

حالة مصر بعد المعاهدة داخليا وخارجيا

تتألف الدولة المستقلة ذات السيادة (فى أجلى صورة للقانون الدولى العام) من

قوم على جانب من المدنية والجدارة يؤهلهم للاندماج فى الاسرة الدولية ويتملكون الاقليم الذى يعيشون فيه ، وتسودهم حكومة منهم يسرى نظامها عليهم ، وتستمد سلطتها من تلك الامة ، وتقيم الامن الداخلى ببوليسها والدفاع الخارجى بجيشها .

هذه هى الخصائص الرئيسية لكل دولة مستقلة مثل انجلتره وسويسره وفرنسا وتشكوسلوفاكيا والبلجيك وشيلى واليابان الخ . فهل مصر بعد ابرام المعاهدة المصرية البريطانية ينطبق عليها هذا الوصف وتأخذ حكم الدول البادية الذكر فى نظر الاسرة الدولية ؟ والجواب على هذا نلمسه بمقارنة بسيطة بين حاضرنا ومستقبلنا وهل المعاهدة كفلت تحرير مصر من قيود الماضى ، وفى أوجز بيان ندلى بالجواب.

تؤلف مصر من شعب له وحدة جنسية وشعور قومى موحد يعيش فى بلاد آبائه وأجداده منذ الاف السنين وللبيئة المصرية مقدرة فائقة على تمصير من يخالطها او يمتزج بها من النازحين والنزلاء ، ولمصر نظمها الحديثة وأمنها الداخلى المحكم النادر المثال ، فماذا يحد من استقلال مصر اذن ؟

لقد الغيت الحماية التركية كما الغيت الحماية البريطانية بموجب تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، واعترفت بريطانيا باستقلال مصر وحرصت الدول على ابقاء امتيازاتها واحتفظت بريطانيا بقيود جوهرية تحد من استقلال مصر : اذن لو ألغيت الامتيازات الاجنبية ورفعت قيود الوصاية البريطانية فان مصر تستكمل سيادتها الدولية . وعندنا أن المعاهدة كفلت الامرين معا على أن يكون تنفيذ الالغاء لبعض القيود ليس ناجزاً بل مؤجلا ونوضح ذلك فيما يلى : —

الامتيازات والمحاكم المختلطة والقنصليه

تسلم بريطانيا فى المادة ١٣ باستنكار نظام الامتيازات وتدعو لالغائه دون ابطاء ولكن اتقاء تصادم مصر مع الدول توصى بأن تفاوض مصر الدول رأسا فى الغائها ، وتعد بأن الدول اذا عارضت في الالغاء أن تكون مصر طليقة بل ومؤيدة من حليفتها بريطانيا فى استعمال حقوق سيادتها (فى الالغاء) ، وبالرجوع الى مشروعات المفاوضات

السابقة للاخيرة تجد بريطانيا تصر على أن تتولى بنفسها مفاوضة الدول ، وفى اطلاق يد مصر من هذا القيد الآن عدول من بريطانيا عن هذا الضرب من الوصاية على شئون مصر الخارجية .

ومن الناحية العملية يؤكد معالى الاستاذ مكرم باشا فى خطبة له بالنادى المصرى فى لندن (راجع صفحة ٢٩) بأن حصلت عليه مصر فيما يتعلق بالامتيازات الاجنبية أن مصر نالت بصددها اكثر مما تدل عليه المعاهدة .) وهذا التصريح الخطير المفعم بالثقة والاطمئنان قاطع فى أن الوفد الرسمى ملك ناصية الموقف ووثق من الظفر القريب بإلغاء الامتيازات . وبذلك تتحطم اغلظ سلاسل قيود الاستقلال .

أما المحاكم المختلطه ، فهذه بدورها ستجتاز مرحلة انتقال قصيرة تكون مصر خلالها قد اتمت مظاهر استقلالها وتنظيم دفاعها ، ومن بعد ذلك من ذا الذى يعترض على توحيد القضاء المصرى والغاء الانظمة الشاذة ، ثم ان مصر هى التى تضع بنفسها النظام المؤقت لمرحلة الانتقال . ولا شك أنها خطوة موفقة

ونحن على بينة بأن الحكومة الوطنية ماضية فى انجاز معدات مرحلة الانتقال بروح الحكمة حتى تتفادى تألب الدول عليها كما تألبت من قبل على نهضة الوالى محمد على والخديو اسماعيل وقد أمنت مصر معارضة انجلتره بفضل المحالفة والرغبة البادية منها فى تقوية مصر وانهاضها . وإذن فيد القضاء المختلط بدوره فى بدء نهايته . ولنذكر ان كثيرا من الدول المستقلة مثل الامبراطورية العثمانية والصين لم تلغ منهما الامتيازات الا منذ عهد قريب .

تحفظات بريطانيا ووصايتها

أما القيود البريطانية الحاضرة لاستقلال مصر فقد واجهتها المعاهدة بالازالة العاجلة فى بعض النواحى والازالة المرتبطه بأجل معين فى البعض الاخر ، ونلخص هنا القيود البريطانية وعلاجها فى الاتى . ـــ

١ — الاحتلال العسكرى

انهت المعاهدة رسميا الاحتلال العسكرى لمصر ، وقضت دواعى الدفاع عن قناة السويس فى هذا الاضطراب الدولى أن تبقى بريطانيا قوة صغيرة فى منطقة قناة السويس لمساعدة الجيش المصرى حتى ينهض ويشتد ساعده ويقوى على الانفراد بحماية القناة ، وضرب لذلك أجل محدود بعشرين عاما ، فهذه القوة أثر من اثار المحالفة الدفاعية اوجبتها حقيقة قائمة ، ولنا أن نتساءل فى هدوء وروية هب أن انجلترة تركتنا الان ومصر من رقة الحال بما يعلم الجميع فهلا نهرول ونتمسك بأذيالها قائلين مهلا أيتها الحليفة فأن نيرون على الابواب . اذن النقطة العسكرية ليست قيدا للاستقلال على هذا الوضع ، خصوصا إذا ذكرنا أن مقتضيات الدفاع فى دول اوربا نفسها كثيراً ماتحتم بقاء قوات الدولة الحليفة فى ارض حليفتها عدة سنوات دون مساس باستقلالها .

البعثة العسكرية : — أما البعثة العسكرية لتدريب الجيش المصرى فلها نظائر فى فى كافة الدول الصغرى بأوربا وامريكا ، بل ان بولنده العظيمة قام بتدريب جيشها بعثة فرنسية .

تنفيذ الجلاء : — وستجلو جميع قوات جيش الاحتلال عن سائر بلاد المملكة المصرية بمجرد اعداد المعسكرات لها فى منطقة القناة مع اتمام برنامج الحكومة المصرية الخاص ببعض الطرق الرئيسية الحديثة المؤدية للقناة بالوجه البحرى والاسكندرية ، وهى اعمال حيوية لمصر المستقلة . أما الجلاء عن الاسكندرية فيتم بعد ثمانية اعوام من ابرام المعاهدة ويبرر ذلك خطورة الموقف فى البحر المتوسط وعدم وجود اسطول حربى لمصر الآن .

لابد من الاشارة هنا الى ان الجلاء عن بلاد القطر والاسكندرية لايتوقف على شروط أخرى ؛ فأن هناك بعض الطرق والسكك الحديدية هى جزء من برنامج الاصلاح المصرى تقتضيها واجبات العمران ومسئوليات الدفاع الوطنى ، وجاء ذكرها فى ملحقات المعاهدة لا كشرط للجلاء ولكن لأظهار مصر بمظهر الناهضة

بتحسين المواصلات المصرية الجديرة بعهد الاستقلال . اذن النقطة العسكرية والبحثة والتوصية على الطرق لاتشوب استقلال مصر وسيادتها .

٢ — التحالف العسكرى ربح لمصر

اما تحالف المملكة المصرية مع الامبراطورية البريطانية أغنى دول العالم واقواها فأنه يضع حدا لاطماع الدول ذات النزعات الاستعمارية ويجعل مصر الواسعة الارجاء المترامية الحدود فى البحر والبر أقل تعرض للغزو الاجنبي والعدوان والتحرش من شتى الدول . ونذكر ان دولة فرنسا طالما اشتهت ابرام محالفة دفاعية عن حدودها مع بريطانيا العظمى فركبت بريطانيا متن الدلال والتمنع ، ولاتزال فرنسا تمنى نفسها بعقد محالفة دفاعية مع بريطانيا حتى الان .

التحالف الدائم

هل توخى التحالف الدائم يشوب الاستقلال ؟

والجواب كلا :

ونلاحظ بأن هذه الملاحظة بالذات رددها بعض اقلام الكتاب .

وكأننا بالمأخذ ينصب على دوام التحالف او التصادق مع بريطانيا العظمى ، وما معنى الصداقة اذا لم يكن لها دوام ولااستقرار ؟ واية حصافة سياسية ومصر الان على مايصفون من الضعف ورقة الحال ان تنذر الانجليز بعدم استدامة التحالف والمصادقة والموده ، فى الوقت الذى تنشد الاتفاق معهم وكسب صادق معونتهم ، وعلام هذه الشكوك وتلك الريب ونحن نعلم جميعا ان الامور مرهونة باوقاتها ، وان الامم لاتنمو ولاتعيش بنصوص المعاهدات والصكوك ، وانما الامم كأئن حى يعيش وينمو بعوامل متجددة .

وهاهو رئيس الحزب الوطنى نفسه فى خطابه الذى القاه يوم ١٤ اغسطس سنة ١٩٣٦ يقول ان الاتفاق مع الانجليز غير مكروه ، ولكنه شرط لذلك الجلاء

الناجز، وما الاتفاق الا التحالف الدائم، والواقع ان الجلاء هو ما يتمناه جميع المصريين لانه لم يولد بعد من يرتضى لوطنه الاحتلال بجندى أجنبى واحد، ولكن مصر قضت أربعة وخمسين عاما تناضل ولم تزحزح الاحتلال شبرا الى الوراء حتى جاء الوفد المصرى فوضع حدا لهذا الاحتلال وحصر دائرته في منطقة القنال وجعله موقوتا واستهاد من حقوق الامة ما يكفل اعدادها لاستعادة سائر امانيها . فعل الوفد ذلك فلا يكون من الانصاف ان نغض من قيمة هذا النجاح ونزرى بمبدأ عهد التحالف ودوام التصادق .

الدول العظمى تنشد محالفة انجلترا

من عجب أن يقوم على التحالف مع بريطانيا اى اعتراض من مصرى مسئول بينما الدول الاخرى تعد محالفة انجلترا نعمة من اعظم النعم .

ويحضرنا بهذه المناسبة فى عام ١٩٢٥ ان المرحوم مسيو بريان وزير خارجية فرنسا وقف يسرد على مسامع مجلس النواب الفرنسى ما كان من تمنع بريطانيا العظمى عن عقد محالفة دفاعية هجومية مع فرنسا التى كانت وما تزال تلح فى تحقيقها واستدامة التحالف القديم على هدى مأساة الحرب العظمى .

وقال بريان « ان انجلترا التى ذاقت مرارة الحرب واهوالها الى جانب فرنسا، وآختنا فى الميدان وشاركتنا فى مكافحة العدو، ان انجلترا هذه تحجم الان عن عقد المحالفة معنا » : وساد التأثر جوانب المجلس، وصاح عندئذ احد النواب قائلا: (تكلم يا جناب الوزير ولو كلمة أسف على هذا)

ولا ينسى مصرى ان انجلترا ترددت طويلا قبل أن تجعل المحالفة مع مصر حقيقة ماثلة والمعاهدة امرا واقعا، وكان للحملة الاستعمارية الايطالية على الحبشة اكبر الفضل فى تعجيل المحالفة بين مصر وانجلترا، اذ عدت هذه الحملة التى لم يشهد العالم فى الشرق لها مثيلا عدت خطراً قائما على سلامة مصر وعلى كيان الامبراطورية البريطانية، وكان مجرد مرور الجيش الايطالى بطريق بور سعيد داعيا لتفكير عقلاء المصريين بل وعامتهم فى مصير هذا الوطن .

٣ - تمصير حماية الاجانب والتشريع

تنهى المعاهدة سيطرة الانجليز على البوليس والادارة والجيش والقضاء وتتعهد بريطانيا بتعليم البعثات العسكرية المصرية وتدريبها فى بلادها .

ويجوز للحكومة المصرية ايفاد رجال الجيش المصرى لمعاهد غير انجليزية إذا تعذر قبولهم فى معاهد بريطانيا .

وتتعهد حكومة بريطانيا بجعل اثمان الاسلحة لمصر مماثلة لما تدفعه لاسلحتها .

ميزة الجندية

نظرة هادئة بريئة الى اطلاق يد مصر المستقلة فى نظام الجندية يشعرنا بأننا دولة لها مستقبلها ، وهل قامت فى العالم لأمة قائمة بغير جيش ، اليس الجيش هو رمز الكرامة والعزة القومية ، اليس الجيش هو عنوان النظام والصحة والقوة المعنوية ، اليس الجيش هو الموحى باسعاد الوطن وحماية مرافقه ، اليس الجيش هو الموحى بانشاء دور الصناعه .

فى زمن الحرب ستضطر مصر الى انشاء دور السلاح والآلات الحربيه فى مصر نفسها ، وها هى البلجيك والمانيا واليابان ما سادت فى عالم الصناعة الا بفضل نظام الجندية فيهن فهو مصدر اهم المخترعات والتقدم الصناعى كما نهضت الصناعة بمصر بفضل جيش الوالى محمد على .

٤ - تحرير القيود المالية

بموجب المعاهدة سلمت بريطانيا لمصر بحق الغاء الامتيازات المالية بالنسبة لها ، كما سلمت بحق الحكومة المصرية فى الغاء منصب المستشار المالى فى أى وقت تشاء .

وعندنا ان استقلال مصر المالى قد وضع اول حجر فى اساسه فى فبراير سنة ١٩٣٠ يوم استردت الحكومة المصرية حريتها فى التعريفة الجمركية ومارست التعديل بنفسها ونفذته فعلا فى عهد الوزارة الوفدية وعلى يد وزير المالية الموفق مكرم باشا .

تحرير وزارة الخارجية

عهد جديد للنهوض بمصالح مصر الدولية

فقدت مصر شخصيتها الدولية منذ فتحها الاتراك فى سنة ١٥١٧ ميلادية واندمجت شئونها الخارجية فى السلطنة العثمانية . وفى ١٨ أغسطس سنه ١٨٧٨ صدر أمر عال من الخديو اسمعيل بتشكيل اول مجلس نظار مسئول يكون من اعضائه ناظر للخارجية ، وكان سمو الخديو قد حصل على فرمان شاهانى يخول له حق عهد معاهدات تجارية : وعين نوبار باشا رئيسا للنظارة وناظرا للخارجية .

وفى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ غداة اعلان الحماية البريطانية اعلن العميد البريطانى رسميا الغاء نظارة الخارجية المصرية ثم اعيدت باسم وزارة بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ مع تقييدها بالتحفظات حتى جاءت المعاهدة فأطلقت يد مصر الحليفة فى شئونها الخارجية فزالت القيود . وستواجه وزارة الخارجية ادق المهام الدولية منذ الساعة فماذا يحد من سيادة الدولة المصرية بعد ذلك إذا خلصت نيات الحليفين وهوما توجبه المصلحة المشتركة .

تقديم سفير بريطانيا

الحت انجلترہ في تقديم سفيرها واذا ثقل هذا على المصريين فانا من ظروفنا وحداثة استقلالنا مايدعولتبريره في مرحلة الانتقال وان آلمنا — ومع ذلك فأنه يظهر بريطانيا بمظهر الاثرةامام الدول دون ان يضير مصر. والمستقبل كفيل بتحقيق المساواة التامة .

الظروف تعجل الاتفاق

صح الجو لعقد المعاهدة بفضل مراجل الحرب الاقتصادية الدولية التي قلبت

اوضاع النظم الاقتصادية في العالم ، وقد وضعت المعاهدة بعد ان قوضت مدافع الاستعمار الايطالى امبراطورية الحبشة وجعلتها ضيعة رومانية ، وضعت المعاهدة بعد ان كاد ماء البحرين الابيض والاحمر يستحيل الى محيط من دماء البشر البيض والسمر والسود على السواء لقد وضعت المعاهدة أخيرا على ضوء الخطر المشترك على سلامة كيان مصر ذاتها ، وسلامة انجلترة فى الوقت نفسه :

جزى الله الاحداث الدولية كل خير فقد اكرهت الانجليز على تغيير سياستهم حيال مصر وآمنوا بأن خير مايتبع نحو مصر ان يجعلوا منها حليفا قويا وصديقا وفيا ، وان يكون من المملكة المصرية دولة قوية لها جيش كبير كامل العدة وان تطلق الجندية من عقالها فى مصر ليكون على مدخلى البحرين الاحمر والابيض دولة منيعة تامة السيادة مهيبة الجانب وذلك بشرط واحد مشروع معقول ان تكون الدولة المصرية الناشئة حليفة وصديقة للدولة البريطانية مثل صداقة الدول الاوربية الكبرى للدول الاوربية الصغرى .

الامم وسوء المشورة

لا يقتل الامم مثل تثبيط الهمم وتوالى الفشل وترك المشاكل بلا حل ، وفتح الاذان للنافخين فى بوق الفتن . ولقد اجتمع لنجاشى الحبشة العقل والسلطان وهم لانهاض شعبه فتألب عليه حساده وشغلوه بذواتهم عن وطنهم ، فلما حاربته ايطاليا وظهر تفوقها على دفاع الاحباش توسط رسل السلام فى الصلح ، وفى الصلح شىء من التضحية على الحبشة عند ئذ تقدم أشد مستشارى النجاشى حماسة بالمشورة فاوصى الامبراطور برفض الصلح المعروض وزين له قرب سقوط ايطاليا وان النصر للنجاشى آت لا ريب فيه ، وانصاع النجاشى لهذا المشير الامريكى ، فكانت المغبة سوء الهزيمة وسقوط الامبراطورية الحبشية وتشتيت شمل اصحاب البلاد وثل عرشها وضياع رؤوسها . فيالها من عبرة وعظة :

وجاء فى الحديث الشريف « السعيد من وعظ بغيره والشقى من وعظ بنفسه »

ونحن نتحدى الذين يحاولون ايغار صدور الامة ضد معاهدة الصداقة والتحالف بين بريطانيا ومصر ان يدلونا على ما صنعوه لاجلاء الانجليز عن مصر منذ الاحتلال وما هى نتيجة ما يزعمون ، ومع ذلك فنحن نريد ان نستقبل العهد الجديد بنفوس صافية متآخية لنواصل جميعا العمل لتحقيق سائر الامانى الوطنية وممارسة حقوق الاستقلال والسيادة القوميه .

تعديل المعاهدة

نصت المعاهدة على انه «فى أى وقت بعد انقضاء عشرة أعوام على تنفيذ المعاهدة يمكن الدخول فى مفاوضات برضاء الطرفين المتعاقدين بقصد اعادة النظر فى المعاهدة» وهذه آية من آيات تبادل الثقة وحسن التفاهم و بعد النظر .

كذلك نصت المعاهدة على « ان الطرفين المتعاقدين يدخلان فى مفاوضات بناء على طلب اى منهما ، فى أى وقت بعد انقضاء مدة عشرين سنة على تنفيذ هذه المعاهدة وذلك بقصد اعادة النظر بالاتفاق بينهما فى نصوص المعاهدة بما يلائم الظروف السائدة حينذاك » .

ضمانات للتعديل والتحكيم

حرص الوفد المصرى ايضا على ضمانات لتعديل المعاهدة على قدم الحرية والمساواة فنصت المعاهدة على اصول التعديل وقواعد التحكيم ، بان يفصل مجلس عصبة الامم او الهيئة الدولية التى تماثله اذا لم يوجد فى المستقبل ، ان يفصل فى كل خلاف ينشأ عن تجديد المعاهدة او تعديلها ، كما يجوز تحكيم شخص او هيئة طبقا لما يتراضى عليه الطرفان فى المستقبل

فهى معاهدة ، أساسها التراضى والتآلف وغايتها التحالف والتعاون ، بروح جديدة نبيلة .

تحامل المعارضة

تفسير المعاهدات بظروفها

ان تفسير المعاهدات يجب ان يراعى فيه الظروف والملابسات التى وضعت فيها المعاهدة .

ومن الانصاف ان نتساءل فى اى ظرف وضعت المعاهدة ؟ انها بغير شك وضعت فى انسب الظروف لمصر العزلاء الضعيفة ولا يستطيع سياسى مصرى ان يدعى بانه كان فى وسعه ان يقطع مرحلة اكبر مما قطعها الوفد الرسمى ؛ ولقد كان ولايزال الحزب الوطنى ممثلا فى الجبهة الوطنية فى شخص الاستاذ الكبير حافظ بك رمضان رئيس الحزب الوطنى الذى قلب ظهر المجن للوفد الرسمى فجأة عشية ابحاره الى اوربا وشيعه بخطاب كله تقريع ؛ ثم تم التوقيع على المعاهدة ولم يكد ينقضى اسبوع على نشرها حتى جاء بيان سكرتير الحزب الوطنى ينادى بالويل والثبور [illegible] والكلمة لبرلمان الامة .

رأى كبرى جرائد فرنسا فى المعاهدة وفى اجماع الامة وفى الوفد

جريدة الجورنال الباريزية من أمهات جرائد فرنسا المعروفة بالصراحة والشجاعة ولقد عقبت على المعاهدة بالآتى « انها فاتحة عهد جديد فى طريق مصر التى انتقلت من بلاد تنبسط عليها الحماية البريطانية الى دولة تتمتع باستقلالها التام ؛ وقد حققت انجلترا امانى الشعب المصرى تحت ضغط الظروف العالمية واجابة لاجماع الأمة المصرية التى كان الوفد المصرى ممثلا لها كل التمثيل »

بيان ورد : نشر الشيخ الوقور محمد على علوبة باشا فى الصحف، حملة شعواء على المعاهدة من الالف الى الياء شغلت عدة صفحات واستغرق سوادها اعادة نشر مواد المعاهدة وملحقاتها ، ثم تناول سعادته بالتعقيب كلمة لى عن المعاهدة ، ثم حض على عدم الهجرة الى السودان قائلا متهكما مانصه : —

« الهجرة الى السودان ! كأن مصر قد ضاقت بأرضها عن أن تأوى بنيها » الى ان قال سامحه الله — « وكأن لم يبق فى الشرقيه والدقهلية والغربيه والبحيرة أرضا صالحة للهجرة والاستثمار » عفوا ياباشا ! فما هذا بمنطق وطنى سليم ؟ واأسفاه

ثم اقترح الباشا السعى لتعديل المعاهدة ، وكيف فات الباشا أن اعادة نظر المعاهدة ميسور جدا وقد أوجبته نصوصها بعد عشرة أعوام .

وختم الباشا بيانه المؤلف من عشرين نهرا مناجيا الشهداء ومتمثلا بالطير يرقص مذبوحا من الالم — على حد تعبيره — كأنما الباشا يداعب فتنة ، عافاه الله

ويأخذ الباشا علينا اعتبار القوة العسكرية فى ضيافة مؤقتة عرضيه ، وسعادته يعتبرها مؤبدة ، فما هذا القنوط ياباشا وما هذه المناظير السوداء وما هذه الشكوى ؟

وكيف نشكو من وجود طيارات الحليفة تذود الاذى عن البلاد ما دامت لم تكتمل لدولتنا الناشئة الاسراب الكافية لصد غارات الدول الغازية المجهزة بآلاف الطيارات ؟ كيف نشكو من ضيافة عشرة الاف جندى فى منطقة السويس بصفة مؤقته لغاية محدودة مسلم بها وقتيا ايضا ، غاية معاونة الجيش المصرى على تأمين حماية مواصلات قناة السويس الى ان يصبح الجيش المصرى قادرا على الانفراد بمهمة الدفاع ؟ وذلك دون ان تفرض على مصر اية تكاليف لقاء هذه المهمة التى ندبت بريطانيا نفسها لها ، فلا غبار على المعاهدة من هذه الناحية العرضية.

والخلاصة أن المعاهدة فى مجموعها انتصار لحق مصر ووثيقة عملية تطلق يد المصريين فى بلادهم. " وأن سعدا فى علاه لتطمئن روحه الى هذه الثمرة المباركة لجهاده وجهاد خليفته المصطفى ، وجهاد ام المصريين ، وجهاد شريكته البارة ، وجهاد ابناء سعد الامجاد . " وهذه كلمة خالصة لله وللوطن م ؟

كلمـــة الختـــام

عهد الاســـتقلال

ايها المصريون :

رأيتم ما انطوت عليه هذه المعاهدة من المزايا العظيمة التى أعدتها العناية للمصريين ، بل ولكافة سكان مصر . وفى ذلك خير تحيه للمجاهدين الأمجاد الذين أوفوا الأمانة حقها ، وخير تكريم للرئيس الجليل

محرر مصر العظيم مصطفى النحاس باشا

وقد أدى الرسالة الوطنية وبر بخلافة سعد وبالاجيال المقبلة واستحق شكر الوطن . ومن فؤادى ألثم راحتى أم المصريين .

والآن أحنو هامتى ولاء واجلالاً لعهد الوفاق ، عهد الاستقلال عهد السلام ، عهد العمل لمجد الوطن .

وليكن يوم ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ ~~منحه~~ صاحب الجلالة المصرية

« فاروق الاول » ملك مصر والسودان

ليكن أمجد أيام مصر . إذ فيه توج صبر الأمة وجهادها بنعمة الاستقلال وآية النصر المبين ؟

١٥ اكتوبر سنة ١٩٣٦

عبد الحليم الياس نصير

بني نصير — بني سويف

فهرست